

جامعة الجزائر
معهد العلوم الاجتماعية

سلسلة
دراسات
العلوم الاجتماعية

محمد يعياتن

مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية



ديوان المطبوعات الجامعية
الطبعة المركزية بن مكنون - الجزائر - 1984

جامعة الجزائر
سهد العلوم الاجتماعية

محمد يعياتن

مفهوم التمرد عند البيركامو
وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية



ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر - 1984

الاهـد ٠

الوأمي ...

* * *

والو زميلا تي وزملائي العاملين مـمي
بمعهد العلوم اللسانية والصوتية
- جامعة الجزائر -

* * *

- مقدمة البحث -

يقول كامو متسائلا " من هو الانسان المتمرد ؟ وجيب :
هو الانسان الذى يقول لا . ولكن رفضه لا يعنى الانكار التام والمطلق :
انه ايضا الانسان الذى يقول نعم ... " ويمضي في تساؤله " ترى
ما هو محتوى هذا " اللا " ؟ انه يعنى - مثلا - " أن الامور قد
طالت " أو : " الى هذا الحد : نعم ، أما ما بعد هذا الحد :
فلا ... " (1)

فالانسان المتمرد عند كامو ، اذن ، هو الشخص الذى لا يجاوز
الواقع بسبب قسوة الظروف التى تتحكم فيه . ولما كان الامر
كذلك ، فمهدفه هو احداث تغييرات جزئية في هذا الواقع .
والدعوة الى احداث تغييرات جزئية ، يعنى ضميا رفض كامول للشورة
التى تنطوى على فكرة التفسير الجذرى .
" والثورى " في المنظومة الفكرية الكاموية يقف في تضاد مع
" الانسان المتمرد " ، ذلك ان " الثورى " لا يكفي بأنصاف الحطول ،
بل يجاوز الواقع ، فهو بهذا الاعتبار انما يحاول " اعادة تشكيل
العالم داخل إطار نظرى ... " (2)

(1) ; O.C , T .II , p 423 .

(2) O.C , T .II , p 516 .

وهذا التضاد أو التعارض الذي يقيمه كامو بين التمرد والثورة مبني على كون الثورة عطية تغير سريعة تستلزم العنف في أكثر الاحايين ، سواء أكان هذا العنف ماديا أو معنويا . وعلاوة عن ذلك ، فإن الثورة - عند كامو - ظاهرة قمعية بالضرورة . (1) ويستتبع هذا التصور ، رفض كامو لكل الظروف التي قد تستوجب استعمال العنف ، حين يخفق الحوار المسالم . وانطلاقا من هذا كله ، سارع كامو إلى معاداة الثورات التي عرفت لها الانسانية على مر العصور والأزمنة ، من ذلك مثلا :

أ - نظرت له للثورة الفرنسية على أنها رمز للجريمة ليس إلا ، أي الجريمة التي ارتكبت على رمز السلطة الألفية آنذاك .

ب - فهمه للثورة الجواررية التحريرية على أنها عمل ارهابي يقوم به انصاف ساسة يمحوزهم النضج السياسي والوازع الانساني .

والثورة عند كامو - قبل هذا وبعدة - هي بمثابة خيانة لروح التمرد التي تعني لديه الرفض الذهني المسالم فحسب . هذا ويعارض كامو "الثورة" بدافع من تشاؤم مفرط ، ذلك انه يعتقد

(I) Ibid , p 65I .

أن مآل كل ثورة هو الاخفاق ، زاعما أن الثوار إنما يصيرون
إلى تحقيق المستحيل ، مستبحين من أجل ذلك كل الأساليب،
سواء أكانت شرعية أو غير شرعية .

وبهذا الاعتبار ، يدعو كامو إلى التخلي عن العمل الثوري
- لأنه في عرفه - جائر عنيف ، والاكتفاء بالتمرد الذي يعني
دائما بالنسبة إليه الاحتجاج الذهني على مظاهر الظلم
في العالم . والدعوة إلى الاحجام عن العمل الثوري يكون
باسم فلسفة الاعتدال أو فلسفة احترام الحدود التي تقوم على
التخلي عن "العنف كمبدأ واحترام الحدود والجهل المحسوب"،
أي الاقتناع بأنه من الصعب تحقيق المثل الثورية، ومن
ثم بات لزاما على الانسان أن يكتفي بتغيير جزئي للواقع
دون ان يعتمد إلى العنف . وفي هذا المضمار يمكن أن نأخذ
على كامو كونه يقيم تعارضا تاما بين الثورة والتمرد مع
العلم بأن الثورة هي في حد ذاتها امتداد منطقي لروح
التمرد . كما نأخذ عليه كونه يعتقد ان "الفكرة" "تعمفن"
بمجرد دخولها في سياق التجربة التاريخية .

ومن هذا المنطلق ، يوجه كامو كامل اعتباره واهتمامه للتمرد ، بيد ان هذا الأخير يظل موسوما في بنية كامو الفكرية بسمة خاصة ، هي سمة التمرد الميتافيزيقي ، الذي يفهم منه بأنه صرخة ضد مظاهر الألم والموت في هذا الوجود ، أي انهما صرخة ضد الاشياء التي من شأنها أن تقصف حائلا دون تحقيق الانسان لسمادته .

وبمعنى آخر فإن كامو لا يخلع على هذا التمرد ابصارا اجتماعية أيّا كانت ، وحجته في ذلك أنه يعتقد أنه حتى ولو تحققت "المدينة الفاضلة" فلن الألم سيظل يؤرقنا " و"سيظل الموت يختطف الاطفال الابرياء" (1)

وعيب كامو هنا ، هو أنه لا ينظر الى الوجود إلا من خلال هذه الصورة القائمة المتشائمة ، وبالتالي فهو يفقر التجربة الانسانية من محتواها الايجابي ويجردها من كل ثروتها وغناها .

(1) Ibid , p 643 .

هذه هي اذن الاشكالية الفلسفية التي بدت لي جديدة بالدراسة والتحليل ، فمكنت على تتبعها في المنظومة الفكرية الكاموية ، مستندا في ذلك الى أعماله الادبية قصد التدعيم والايضاح . وهذه الاشكالية كما تترأى لي يمكن صياغتها على النحو التالي :

- أ - التضاد الذي يصر كامو على اقامته بين التمرد والثورة باعتبار أن الثورة هي الشطط الذي يجب على التمرد أن يتحاشاه وإلا ضل حقيقته وحاده عن سبيله .
- ب - ليس التمرد الكاموي عملا يرنو الى تغيير الواقع، إنما هو احتجاج ذهني وروحي على هذا الواقع ليس إلا .
- ج - دعوة كامو الى تجنب استعمال العنف ، وذلك باسم فلسفة الاعتدال واحترام الحدود . والمفارقة هنا أن كامو يجمعل من التمرد جوهر الانسان في هذا العالم ، ولكنه يهيب به الى عدم تجسيد هذا التمرد من خلال التجربة الحية ، بدعوى ان التمرد الحقيقي هو التمرد الميتافيزيقي الذي يعني أساسا تشاؤما واستياء ازا هذه الحياة الفانية .

هذا وما زاد في إصراري على بحث مفهوم التمرد عند كامو وهو جزائري المولد ، ذلك الموقف الذي وقفه من الثورة التحريرية الجزائرية ، وهو موقف متناه في السلبية حيث أنه لم يقو على تجاوز عقلية "الأقدام السوداء" " Les pieds noirs " في حين ظن الجميع ان كامو - وهو صاحب النزعة الانسية - سيخرج من صمته ليقول كلمة الحق ، لكن الخيبة التي اعترت الجزائريين آنذاك كانت فوق كل تقدير واعتبار ، الأمر الذي أدى بالكثير الى الاعتقاد بأن كامو اختار فرنسا بدلا من اختيار الجزائر التي كان يحلو له أن يقول بأنها "وطنه الحقيقي" . بيد أن هذا الموقف السلبي لا يمكنه ان يفاجئ من يكون قد أطلع على أعماله الفكرية ، خاصة منها "الانسان المتمرد" ، فالموقف الذي وقفه ازا " ثورة الجزائر التحريرية يجب البحث عنه من خلال هذا الكتاب الذي نشتم منه معاداة لكل الثورات ورفضاً لكل اشكال العنف وهو رفض لا يعبأ البتة بالظروف التي قد تستوجب اللجوء الى العنف .

فلا غرو ان أن يكون كامو قد وقف ضد الثورة الجزائرية هذا الموقف ، ولا عجب ايضا اذا هو لم يتبن المصنف

الجزائري الذي فرضته الظروف وأملته املاء على الثوار .
هذا لأن ما حدا بي الى خوض هذا الموضوع
الشائك . أما المنهجية التي توخيتها في الدراسة ،
فيمكن تحديدها باختصار على النحو التالي :

لقد قسمت بحثي الى اربعة فصول أساسية خصصت
الفصل الأول للبحث عن مدلولات التمرد من الوجهتين
اللفوية والفلسفية ، كما حاولت أيضا أن اعقد مقارنة
وجيزة بين مفهوم التمرد والثورة بغية الوقوف عند
مميزات كل واحد منهما . ولم يكن ذلك ممكنا دون ذكر
نبذة عن حياة كامو ومؤلفاته ، في شكل تسلسلي تاريخي .

في الفصل الثاني ، عالجت فكرة اللا معقول أو الحبث
كما يتصورها كامو ، ذلك باعتبار ان التمرد - وهو موضوع بحثنا -
إنما يتم ضد هذا اللا معقول ، الامر الذي جعلني ابحث
عن تجليات هذا اللا معقول وبعض مواصفاته .

وفي الفصل الثالث من هذه الدراسة ، عكفت على
تحليل الفكرة الجوهرية من بحثي ، ألا وهي فكرة التمرد ،

وعند هذا الحد ، ترائى لي بأن التمرد تقوم قائمته
بعد رفض كامو للانتحار الجسدي والفلسفي ، وترائى لي بأن
هذا التمرد هو أساسا تمرد ميتافيزيقي ، يوجّهه كامو ضد
اللامعقول في الوجود ، وتجليات هذا اللامعقول عنده هي :
الألم والقلق الوجودي من الموت الذي يضع حدا لكل حياة .
هذا وقد وقفت عند فكرة أساسية أخرى مفادها ان كامو
- كما أسلفت - يقيم تعارضا بين التمرد والثورة ، باعتبار
ان الثورة - كما يرى - هي بمثابة تطبيق غير سليم
لمفاهيم التمرد ، ذلك لأن الثورة تنو الى تغيير الواقع تغييرا جذريا ،
في حين ان التمرد ، كما يفهمه كامو - هو الرفض الذهني
المسالم الذي لا يريد تجاوز الواقع إلى ما هو افضل منه
ولقد قادني هذا التحليل إلى ان التمرد الكاموي هو بمثابة
احتجاج غامض ، يتفزع على الوجود دون ان تنبجس
الرغبة في تغييره وتجاوزه . ويات هذا التمرد تمردا
سلبيا لا يمكن أن يعتمد به .

أما الفصل الرابع والأخير من هذا البحث ، فلقد خصصته لتحليل موقف كامو من الثورة التحريرية الجزائرية ، بغية معرفة مدى مطابقة أو عدم مطابقة موقفه مع أفكاره في التمرد والتي ضمنها كتابه "الإنسان المتمرّد" . وقد رأيت في هذا الفصل أن أبحث عن المكانة التي تحتلها الجزائر في مؤلفاته الأدبية ، كما بحثت عن الكيفية التي ينظر بها كامو إلى الجزائريين .

وفي مرحلة لاحقة ، عالجت مواقفه من قضايا الجزائر قبل وإبان الثورة التحريرية ، لمعينة التطور الفكري والسياسي الذي يكون قد طرأ على هذا الموقف ، وانتميت إلى أن موقفه الذي كان في أول أمره مشوبا بالحنذر سرعان ما أخذ يتضح بالتدريج حتى بدا على وجهه الحقيقي :

لقد وقف كامو ، ضد الثورة الجزائرية ، كما فعل أزا ء الثورات التاريخية الأخرى ، كما أنه ناهض العنف الذي اتسمت به الثورة الجزائرية ، والذي اقتضه قسوة الظروف وعدم نجاعة الحوار الدبلوماسي .

وفي خاتمة المطاف ، بدالي أن روح "الاقدام السوداء" كانت العامل الحاسم والنهائي في تحديد اختيارات كامو السياسية. هذه هي حيثيات الدراسة كما تصورتها . بقي لي أن أشير الى ان المراجع التي عمدت اليها جلّما فرنسية ، ويشفع لي في ذلك كون البحوث العربية قليلة في هذا المضمار، وهو مما ضاعف من صعوبة هذا البحث . هذا وقد آثرت اثبات النصوص الفرنسية الكاموية في المواضع مساعدة منى للقارئ على حسن تصور الترجمة العربية وفهمها فمما دقيقا .

الفصل الاول

- حياة كامو في سطور

- تحديد مفهوم التمرد

* اعتمدنا في بحثنا على الاعمال الكاملة لكامو التي صدرت في جزئين

-Oeuvres Complètes, Tome I : O.C, T.I

وسنرمز لها بـ :

-Oeuvres Complètes, Tome II : O.C, T.II

حياة كامو في سطور (1)

- سنة 1913 ، (نوفمبر) : ميلاد البيركامو بمندونفي
الديرمان حاليا ، ولاية عنابة .
 - سنة 1914 ، موت والد كامو ، لجان الحرب العالمية الأولى .
 - سنة 1918 ، يَدْخُل كامو المدرسة الابتدائية بحي بلكور
بالعاصمة .
 - . . 1923 ، ينتقل كامو إلى التعليم الثانوي .
 - . . 1930 ، يتحصل كامو على شهادة الباكلوريا ، وفي
هذه السنة بالذات ، تظهر عليه بوادر مرض السل .
 - . . 1931 ، ينتقل إلى التعليم الجامعي للحصول على ليسانس
الفلسفة .
 - . . 1933 ، يعقد كامو أول زواجه . وبعد ذلك يتقلب بين
عدة وظائف من أجل العيش .
 - . . 1934 ، يقدم كامو على الطلاق - وينضم إلى الحزب
الشيوعي .
 - . . 1935 ، ينسحب من هذا الحزب - يشرع في كتابة
الصفحات الأولى من مقالاته الأدبية : "الوجه والقفا" "l'Envers
et l'Endroit"
-

- سنة 1936 ، يناقش كامو ديبلوم الدراسات المعمقة بجامعة الجزائر حول "العلاقات القائمة بين الهيكلية والمسيحية من خلال اعمال افلوطين والقديس أغسطين".
- . 1937 ، يمنح كامو من التقدم الى امتحان التبريز "l'agrégation" في الفلسفة وذلك لتدهور حالته الصحية .
- . 1938 ، في هذه السنة يرفض كامو منصب استاذ للفلسفة بمدينة بلعباس، "خوفا من العزلة" - ينضم الى جريدة "Alger-républicain" كمحرر .
- . 1939 ، يشرع في كتابة قصته المعروفة: "الغريب" "L'Etranger" كما يبدأ في نشر تحقيقه حول "الفقر في القبائل الكبرى" .
- . 1940 ، يعقد كامو زواجه الثاني - تقرر السلطات الحاكمة نفيه الى باريس بسبب التحقيق الذي اشرنا اليه في السابق - يشرع أيضا في كتابة "اسطورة سيزيف" - يعود الى الجزائر ثانية .
- . 1941 ، ينهي كتابه : "اسطورة سيزيف" "Le mythe de Sisyphe"
- . 1943 ، في هذه السنة توفد "حركة Combat" كامو الى باريس حيث يشرع في اصدار جريدة كومبا السرية .

- سنة 1947 ، يستقيل كامو من "كومبا" نظرا لتفويضه لاجتماعات السياسة .
شعر جوان : ينشر كامو روايته : "الداعون " La peste
- " " 1950 ، اعداد مادة كتاب : "الانسان المتمرد " L'Homme révolté
- " " 1951 ، اكتوبر : نشر "الانسان المتمرد " الذي أثار مناقشات حادة
مع اليسار المتطرف . بعد مناقشة مجلة "الأزمة"
الحديثة " Temps Modernes " لكتاب كامو ، تتم القطيعة
بين جان بول سارتر وكامو .
- " " 1956 ، في 22 جانفي ، يوجه كامو نداء من أجل مدنية
مدنية " Appel pour une trêve civile " .
- " " 1957 ، ينشر كامو : المنفي والملوكوت " L'Exil et le Royaume"
17 اكتوبر ، تمنح الاكاديمية الملكية بـستوكهولم
جائزة نوبل لكامو .
- 10 ديسمبر ، يستلم كامو هذه الجائزة ، ثم يلقي
خطاب السويد .
- " " 1958 ، يقترح كامو حلا لأزمة الجزائر .
نشر "الوقائع الجزائرية " Chroniques Algériennes
- " " 1960 ، 4 جانفي ، يلقي كامو مصرعه في حادث سيارة بباريس .

* استقينا هذه المعلومات من :

- Morvan Lebesque , Camus , Le Seuil , Paris 1960 .

- Roger Quilliot , La mer et les prisons , Gallimard , Paris , 1971 .

تحديد مدلول التمرد -

يجدر بنا، قبل الاقدام على تحديد نشأة التمرد عند البيركامو، أن نقف عند مدلول التمرد لغويا قبل معالجته فلسفيا، حتى يسهل علينا بعد ذلك مقارنته بالتمرد كما يتصوره كامو من خلال مؤلفاته .

أ - التمرد من الوجهة اللغوية :

عندما نتصفح مختلف المعاجم العربية ، نجد أن للتمرد مدلولات أهمها ما يفيد معنى العصيان بوجه عام . (1)
وينطوي هذا العصيان على سمة العنف، ذلك انه عبارة عن رد فعل عنيف تجاه حالة معينة تستثير غضب الانسان الذي يحياها او يعاني منها .

(1) فهذا لسان العرب يطالعنا بأن التمرد من : "مرد على الأمر يمرر مرودا ومرادة، فهو مارد ومريد . وتمرد : اقبل وعتا، والمارد من الرجال : العاتي الشديد ، والمرود على الشيء : المرون عليه" ومرد على الكلام، أي مرن عليه لا يعبأ به . قال الله تعالى : "ومن أهل المدينة مردوا على النفاق" . ومرنوا عليه كقولك تمردوا ..."

ابن منظور ، لسان العرب، المجلد الثالث، ص 400 .

- اما اذا تصفحنا معجم متن اللغة، فاننا نلفيه يردد نفس المعنى : "مرد : تطاول في المعاصي، وتمرد عصى وعتا ."

احمد رضا ، معجم متن اللغة، المجلد الخامس، ص 273 .

ومدلول التمرد في اللغة العربية هو ما يقابله باللغة الفرنسية
لفظ Révolte ويمكن القول بأن اللفظ الفرنسي عرف تطورا عبر
صيرورة التاريخ :

- فلدى غاية القرن السابع عشر، ظل هذا اللفظ يؤدي فكرة
الخروج من الحزب، وذلك دون ان ينطوي هذا "الخروج" على اللجوء
الى العنف. (1)

- أما اللفظ في استعماله الحالي، أي "التمرد على..."
يفترض مثل هذا اللجوء الى القوة. كما يؤدي هذا اللفظ معنى
الرفض والاستنكار. (2)

هذا وتدنو كلمة Rébellion (عصيان) من التمرد Révolte
وذلك لكونهما تدلان على معنى العصيان، في حين تدل كلمة
Insurrection (انتفاضة) تعني دائما معنى العصيان المسلح ضد
السلطة القائمة. (3)

(1) O. Bloch , Dictionnaire étymologique de la langue française , P 593 .

(2) Dupré , Encyclopédie du bon français , tome III , p 2288 .

(3) - جبور عبد النور وساميل ادريس، المنهل، قاموس فرنسي
عربي، ص 871.

ب - التمرد من الوجهة الفلسفية

ان المدلول الفلسفي للتمرد أوسع مدى من المدلول اللغوي،
ذلك ان المدلول الفلسفي يعني الرفض الكامل للوضع الانساني
condition humaine وفي هذا المعنى يقول بول فولكييه P.Foulquier
" التمرد هو الوقوف ضد السلطة الحاكمة، وهو أيضا الرفض
العالم للوضع الانساني " (1)

وفي هذا المعنى أيضا، يقول كامو: " التمرد هو الحركة التي
يثور بها المرء على حاله وعلى الخليقة كلها . انما ميتافيزيقية،
لأنها تعارض في سلامة الغايات الخاصة بالانسان والخليقة قاطبة " (2)
من كل ما مرّ بنا، يمكننا القول بأن التمرد، من الوجهة
الفلسفية يختلف الى حد بعيد عن مدلول التمرد من حيث
الوجهة اللغوية، فالمدلول الفلسفي ينطوي على معنى الرفض
الكامل Refus للقدر الانساني، أي أن الانسان معنا يرفض كل الاوضاع

(I) " Révolte : soulèvement contre l'autorité établie . Refus passionné
de la condition humaine ."

paul Foulquier , Dictionnaire de la langue philosophique , p 585 .

(2) " La révolte métaphysique est le mouvement par lequel un homme
se dresse contre sa condition et la création tout entière

Elle est métaphysique parcequ'elle conteste les fins de l'homme
et de la création O.C.T II P 435

التي تقدر له بوصفه انسانا ضعيفا متاهيا . وهذا التمرد هو ما يسمىه كامو بالتمرد الميتافيزيقي .

ج - بين التمرد والثورة

وبما أننا بصدد تحديد مدلول التمرد ، فلا مندوحة لنا من التعرّيج على مفهوم الثورة قصد استكناه خصائصه وتبيان مدى اختلافه عن مفهوم التمرد ، ذلك ان كامو يفرّق بين المفهومين الى درجة أنه يضح الواحد في مقابل الآخر بكيفية تجعلك تفهم أن كامو يرى تضادا بينهما لا سبيل الى رفعه .

(1) الثورة في الاستعمال اللغوي

أن لفظ الثورة ، في الاستعمال القديم ، كان يؤدي معنى الغضب والميجان فحسب (1)

(1) يفيد ' لسان العرب بأن الثورة من : "ثور: ثار الشيء ثورا وثورا وثورانا ، وثور: هاج ، والثامر هو الغضبان . ويقال الغضبان : اميج ما يكون : قد ثار ثائره وفار فائره اذا غضب وعاج غضبه ، ويقال : انتظر حتى تسكن هذه الثورة وهي الميج . ويقال ثارت نفسه اذا : جشأت وان شئت جاشت ، ويقال أيضا : ثار به الدم ، وثار به الناس ، أي وثبوا عليه " ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الرابع

ص 108 - 109 .

أما عن مدلولات الكلمة الفرنسية Révolution فلقد مرت

بالتاليات التالية :

- لقد ظلت كلمة Révolution تعني الى غاية القرن الثاني عشر الميلادي

"دوران الا رض حول الشمس" والذي يستغرق عاما . فاستعمال هذه الكلمة كان استعمالا فلكيا محضا . (1)

- والى غاية القرن التاسع عشر، اضحت Révolution كلمة الشبه

بفكرة انقلاب الحكم : Coup d'état (2)

(2) - الثورة اصطلاحا

وتطور مدلول الثورة بحيث اخذ بعدا تجريديا ، فاصبح

يعني التغيير الجذري والسريع لنظام سياسي بأسره أو لبنية

اجتماعية ما . (3) ويتم هذا التغيير وهذا التحول بواسطة ارادة

الجماعية المريضة . وفي هذا المعنى ، يقول د / جميل صليبا :

"ان الثورة يقوم بها الشعب ، على حين أن قلب نظام الحكم يقوم

به بعض رجال الدولة ، وثمة فرق آخر بين الامرين ، وهو أن هدف الثورة

(1) O.Bloch , Dictionnaire étymologique de la langue française , p553 .

(2) Dupré , Encyclopédie du bon français , Tome III , P2289 .

(3) A.Birou , vocabulaire pratique des sciences sociales , p843 .

هو تغيير النظام السياسي او الاجتماعي أو الاقتصادي ، وهدف الانقلاب هو مجرد اعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة .. " (1)

والثورة قد لا تصطحبها ظاهرة العنف، إذ "قد تدل على تغييرات جذرية .. وتكون هذه التغييرات احيانا تدريجية وبدون عنف، كما تدل على ذلك المصطلحات الآتية : الثورة الصناعية، الثورة الثقافية الثورة العلمية .." (2)

وفي هذا المعنى أيضا يقول أحد المفكرين المعاصرين : "وبالطبع، فإن الثورة قد تتطلب احيانا متاريس الشوارع أو حربا مسلحة في المدينة أو الريف أو كلا الشكلين . لكن مثل هذه الاشكال الخاصة للنضال ليست هي جوهر الثورة . فالثورة الاجتماعية والسياسية هي مسألة التفسير في كل أساس المجتمع وبنيتة ... " (3)

ويذهب بعض الباحثين الاجتماعيين، مثل ماركس، الى ان "الثورة تدل أيضا على تغيير أساسي في العلاقات بين الطبقات العليا المسيطرة بحيث تدمر هذه العلاقة وتحرر الطبقة الدنيا من الاستغلال الاقتصادي ... " (4)

(1) د / جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الاول ، ص 381 .

(2) د / عمار طالبي ، في مفهوم الثورة ، محاضرة مخطوطة ، ص 5

(3) جاك ووديس ، نظريات حديثة حول الثورة ، تعريب محمد مستجير مصطفى الجزء الاول ، ص 25 .

(4) د / عمار طالبي ، المرجع السابق ، ص 5 .

3 - نتائج المقارنة

بعد ان حددنا كلا من مفهوم التمرد والثورة يمكننا أن
نعقد مقارنة بينهما حتى يتبين لنا مدى التقائهما أو اختلافهما .
وفي هذا المضمار يمكننا أن نقول :
- بأن الثورة تختلف عن التمرد وذلك بالنظر الى اهميتها
والنتائج التي ترنو الى احدا ثما ، وهذا فضلا عن كونها
فورية وسريعة ، تتوخى العنف في أكر الاحيان . (1)
- كما ان الثورة تختلف عن التمرد من حيث تنظيمها
ووضوح اهدافها . لما التمرد فيختلف عن الثورة ذلك أنه
ينقض سريعا ، انه شحادة لا تماسك فيها ولا احكام . (2)
ومعنى هذا ان التمرد هو محاولة حركة عاطفية تفتقر الى
الرؤية الواضحة .

(I) Dupré , Encyclopédie du bon français Tome III , P 2289 .

(2) د / عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة
الوجودية ، ص 178 .

ففي حين يرى كامو، أن الثورة هي فكرة سرعان ماتدخل
في سياق التجربة التاريخية الحية . وبهذا الاعتبار، يبدو
ان التمرد هو مجرد حركة لا نتيجة لها في الواقع، أي أنه
عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي على نظام أو مذهب، فالثورة،
بالمقابل، هي بمثابة محاولة لتشكيل العالم داخل اطار
نظري .

وفي هذا المعنى ، يقول جان بول سارتر
بأن الثوري " هو من يريد تغيير العالم وتجاوزه نحو
المستقبل ، أي أن يفضي هذا التغيير الى قسائم
جديدة .. " (1)

(1) Cité par pierre Henri Simon , L'Esprit et l'Histoire , p 54 .

الفصل الثاني

منشأ التمرد : اللا معقول

يعتبر البير كامو من الكتاب القلائل الذين التزموا خطا فكريا واحدا في مؤلفاتهم ، ذلك أن كامو ظل طوال حياته القصيرة يضمن كتاباته . من روايات ومسرحيات ومقالات فلسفية - محتوى يكاد يكون متجانسا محوره فكرتان أساسيتان هما : العبت أو اللا معقول والتمرد ، الأمر الذى أدى بكثير من النقاد الى ربط اسم كامو بفلسفة العبت الى حد اطلاق لقب الفيلسوف العابت عليه ، وبعضهم الآخر يقرن اسمه بالتمرد ويسميه الفيلسوف المتمرد .

كما أطلق عليه البعض الآخر صفة الفيلسوف الوجودى ، وحجتهم في ذلك أن فكر كامو يحوي في ثناياه مفاهيم هي من صميم الفلسفة الوجودية كاللا معقول والقلق والشعور بالموت على أنه فضيحة الوعى البشرى ، والتمرد - لكن كامو يرفض هذا اللقب رفضا حاسما (1) - انه لتعثره الدهشة حين يرى اسمه مقرونا باسم سارتر ، وحجته

(I) "Non , je ne suis pas existentialiste. Sartre et moi , nous nous étonnons toujours de voir nos deux noms associés. Nous pensons même un jour publier une petite annonce les soussignés affirmeront n'avoir rien de commun ... " Cité par Paul Ginestier , Camus , p 56 .

(2) هذا في حين يرى طمعه حسين ان كامو : " اديب بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها ، وهو فيلسوف بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها ... " مجموعة الاعمال الكاملة ، ج 6 ، ص 734 .

في هذا الرفض، أنه لا يكفي أن يقول أحد بأن الوجود ينطوي على
اللامعقول لتصديق عليه تسمية "فيلسوف وجودي"، فهو يعتقد أن
الفلسفة الوجودية فلسفة كاملة ورؤية خاصة للعالم تفتقر
قيام ميتافيزيقا وأخلاق معينتين (1).

هذا ويمكن القول بأن كامولم يستمد فكرة العبث، أو اللامعقول (2)
من مرجع أو كتاب، وإنما وضع العبث، كمقولة وجدانية ذاتية، شأنه في ذلك
شأن جان بول سارتر حين زعم بأن الوجود يبعث على الغثيان La nausée
ولعل المآسي التي عانى منها كاموليلة المدة التي عمّر فيها
هي التي أمدته بمضمون مؤلفاته.

إن حياة كامول جعلت العبث والتمرد يتسريان إلى ذهنيته
منذ مطلع حياته. فقد ولد في الدريمان Dréan (ولاية عنابة)
لأب فرنسي وأم إسبانية عام 1913 وهو العام الذي أعقبته الحرب

(I) " On n'accepte pas la philosophie existentialiste parce qu'on dit que le monde est
absurde ... L'existentialisme est une philosophie complète , une vision du monde
qui suppose une métaphysique et une morale . " Cité par P.Ginestier, Camus , p87.

(2) . "C'est absurde veut dire c'est impossible , mais aussi contradictoire ."
O.C , T. II , p 120 .

العالمية الأولى ، فقتل أبوه في إحدى معارك الحرب، مما اضطر أمه إلى العمل في بيوت الأثرياء، لتنظيف الغرف وتفصل الملابس، وترجع في المساء ومعهما فضلة أطعمة الأسرة التي جاءت من منزلها لتسد أربعة أفراد جائعة: أختها الخرساء وأما العجوز والبيركامو نفسه وشقيقه، ثم تلاحق العمل من جديد في اليوم التالي علما تستطيع توفير شيء من القوت أو الحصول على بعض المال .

وفي الثانوية، تأخذ فلسفة كامو في التكوّن تدريجيا . ففي هذا العهد، يطلع على حياة الموسرين ويقف على الفروق الطبقيّة؛
" ... ان الفقر قد منعني من الاعتقاد بأن كل شيء على ما يرام تحت الشمس..." (1)

وبعد تخرجه، يتقلب كامو في العديد من الوظائف والأعمال حاملا في صدره بواكير جرائم السل، عام 1930 . وفي عام 1934، يتزوج زواجه الأول الذي يدوم حتى 1935، وينضم إلى الحزب الشيوعي لمدة أربع سنوات تقريبا . أما الأعمال التي ما رسما فهي كثيرة

(I) " La misère m'empêcha de croire que tout est bien sous le soleil ."

O.C , T. II , 6 .

أهمّهما : متوظف في مكتب الارصاد الجوية ، ثم بائع قطع غيار السيارات ، ثم ممثل في فرقة إذاعة الجزائر ، فحرر في إحدى الصحف بالجزائر . وبعد تقلبه في هذه الوظائف كلها ، يأخذ اسم كامو يتألق الى أن توجت أعماله الادبية والفكرية بجائزة نوبل سنة 1957 . وبينما هو يشق طريقه ، طريق المجد فسي شموخ وأنفه ، فاذا بالمنية تخطتاه في حادث سيارة سنة 1960 بباريس . (1)

يحق لنا ، بعد هذه الاطالة القصيرة على حياة كامو ان نقول بأنه وصل الى مقولة الحبث عن طريق حياته التعيسة قبل أن يصل اليها عن طريق ثقافته ، وانه اصطدم باللامعقول وهو يستमित من أجل العيش والبقاء . وفكرة اللامعقول هذه ضمنها كامو كتابه "أسطورة سيزيف" Le mythe de sysiphe الذي يعد الجهد الاساسي الذي بذله المؤلف لتظير فكره . وقبل تحليل فكرة اللامعقول عنده ، يجدر بنا أن نتعرف الى سيزيف .

ان سيزيف شخصية اسطورية اتخذها كامو لوصف حال الانسان في هذا الوجود - ويرى هوميروس HOMERE ان سيزيف كان أعقل الناس ، بيد أن هناك رواية أخرى تقول أنه كان يميل الى قطاع الطرق - ولكن الآراء تختلف في الاسباب التي من أجلها عوقب عقابه الأليم في العالم السفلي ، ذلك أن الألهة قضت عليه

(1) Jean Majault , Camus , révolte et liberté , p4 .

بأن يستمر أبدا في لصعاد صخرة إلى قمة الجبل لا طيبث بمجرد وصولها إلى القمة أن تسقط من تلقاء نفسها فيضطر سيزيف إلى لصعادها من جديد وهكذا دواليك ... ويقال أنه عوقب بهذا العقاب لأنه استخف بالآلеме فأفشى أسرارها (1).

فسيزيف في نظر كامو إنما هو الإنسان في هذا الوجود، يشقى وشقاؤه من غير جدوى. هكذا وبصورة مستمرة يستمر تعذيب سيزيف في أن يقوم بعمل غير مجد. فلماذا يقوم الإنسان بهذا العمل اللامعدي طيلة حياته التي تنتهي بالموت. وما هو الهدف من وجود الإنسان في الحياة؟ لماذا أتى؟ وماذا يريد؟ ولماذا يموت؟ العالم، إذن غير معقول في نظر كامو. ويعرف كامو اللا معقول على أنه معطى آتى وفورى للوحي، أى أن النفاذ إليه يتم بطريقة حدسية مباشرة، ويعني بذلك أن الشعور به قد يفاجئنا عند منعطف شارع أو قد يستولى علينا ونحن نباشر أكثر أعمالنا سخفا (2).

وهذه الصدمة - أى صدمة اللا معقول تحدث دون سابق إعلان !!

(1) د. عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 159 :

(2) " Le sentiment de l'absurde au détour de n'importe quelle rue peut frapper à la face de n'importe quel homme ." O.C , T.II , p 105 .

ويعني هذا أن تجربة اللامعقول تنطوي على خاصية أساسية هي أنها تجربة ذاتية شخصية ،لا يمكن إيصالها للاغبيار .
ومن ثم فإن الحكم على الوجود بالمعيب أو المحالية هو حكم نسبي يظل حبيس الشخص الذي يحيا تجربة اللامعقول ويعانيها ، ومهما يكن من أمر فانه لا يمكننا التوغل في فكرة اللامعقول وسبر أغواره
إذا نحن لم نستوف بعد شروط تحديده ومعينة مواصفاته .
- إن اللامعقول ، كما يرى كامو - هو الصراع القائم بين عالم لا معقول و رغبة الانسان العارمة في استيضاح هذا العلم وفهمه ، ويقول كامو :
" اللامعقول هو التطاير القائم بين الفكر الذي لا يفتأ يستوضح العالم .
والعالم الذي يخيب هذا الفكر " . (1)
- واللامعقول كما يتبدى من خلال كتاب كامو ، هو كون أن لاشيء قابل للتفسير ، وأن ليس شئ من شئ يقيني الا الموت - والموت هو فضيحة الوعي البشري (2)
- واللامعقول أيضا هو " سكوت العالم " Le silence du monde واستفلاقه على الانسان الذي لا يني يسأله ويستوضحه .

(I) " L'absurde c'est le divorce entre l'esprit qui dénie et le monde qui déçoit
O.C , T.II , p 135 .

(2) Pierre Henri Simon , L'homme en procès , p 63 .

- واللا معقول ، لذلك ، هو افلات العالم من الادراك الانساني وفهمه
له ، يقول كاموفي هذا المعنى :
" بامكاني ان ألمس هذا العالم وان أحكم عليه بأنه موجود ، ولكن
هنا يتوقف علمي به ... " (1)

- واللا معقول لا يوجد في الانسان وحده ، أو في العالم وحده أي بمعزل
عن بعضهما البعض ، بل يقوم اللا معقول في غضون العلاقات التي تربط
الواحد بالآخر جدياً .

- الآن اذا كان هذا هو اللا معقول ، فما محتواه ؟ إنه للإجابة عن
هذا السؤال ، يمكننا العودة الى كاموبالذات . فبالإضافة الى كونه
يعتقد بأن الانسان رمي به في هذا الوجود من غير استشارته على
قرار الفلاسفة الوجوديين ، فان كامويؤكد على مجموعة من الأفكار
بهذا الخصوص منها :

- الرؤية الميكانيكية للامعقول : سبق أن قلنا أن سيزيف الذي
قضت عليه الآلهة بأن يستمر في إصعاد الصخرة الى قمة الجبل ، انما
هو حال الانسان أيما كان ، يشقى من دون جدوى . فحياته عبارة عن
آليه روتينية يقطعه ، حافلة ، أربع ساعات عمل ، أكل نوم ، ثم
الاثنين ، الثلاثاء ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، الاحد ،
وعكذا دواليك ... " (2)

(1) " Ce monde , je puis le toucher et je juge encore qu'il existe . Là s'arrête toute ma science ... " O.C , T.II , p III .

(2) " Lever , tranway , quatre heures de bureau ou d'usine , repas , tranway , quatre heures de travail ... , et lundi mardi sur le même rythme . " O.C , T.II , p107 .

وهذا الشعور بالملل والقرف نجده أيضا عند الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر، ولا أدل على ذلك من عنوان إحدى رواياته "الغثيان" La Nausée الذي تطفو على سطحه فكرة اللا معقول : فالوجود، في رأي سارتر، يبعث على الغثيان، فكد ما في العالم ينم عن معاني القرف والاستياء يقول سارتر عن الأشياء التي تحيط به : "كان من حقنا ألا نلمس هذه الأشياء لأنها تفتقر للحياة - إنما نستعملها ثم نعيدها إلى أماكنها فحسب. إنما نعيش وسطها، وهي مفيدة وكفى. ولكننا تلمسني هي الأخرى، وهذا أمر لا يطاق، وأنني لأخشى أن أعقد علاقة معها لأنها تبدولي وكأنها حيوانات تدب فيها الحياة" (1)

آليات حركة الإنسان = اللا معقول، كما يراه كامو، لا يمكن فهي الخارج، أي خارج الإنسان، بل هو مائل أيضا في قراءة الإنسان بالاضافة إلى ما يقوم به من حركات عادية ويومية - يقول كامو في/ هذا المعنى : "إن الناس انفسهم يفرزون ما هو لا انساني، فانت ترى رجلا خلف زجاج يتكلم في الهاتف، فلا تملك إلا ان تتساءل : لم يعيش هذا الرجل" (2)

(1) Jean paul Sartre , La nausée , p 53 .

(2) " Un homme parle au téléphone derrière une vitre , on se demande pourquoi il à des vit . " O.C , T.II , 108 .

ونفس هذه الصورة نلّفينا مرسومة في رواية سارتر "الغثيان"
حيث يقول: "لقد كنا مجموعة من الكائنات المرتبكة، القلقة من نفسها،
ولم نكن نرى سببا أو مبررا لوجودنا هنا..." (1)

— رؤية الزمان = الزمان هو بمثابة العدو اللدود للإنسان كما يرى
الفلاسفة الوجوديون، لأنه غالبا ما يحول دون تحقيق مآملنا
ومشا ربنا — إذا، يرى كاموبيا أن افتخارنا بشبابنا هو أمر على
مستوى كبير من السخافة، لأننا بذلك نكون بمثابة من يرسم منحني
تكون نقطته الأخيرة مؤشر موتنا ونهايتنا — وفي هذا المعنى، يقول
كامو: "إن الوقت يحملنا وما عبر أيام من حياة قاتمة" (2)

وتأخذ هذه الرؤية في الاتسام بنوع من التشاؤم الحاد، حين يضحى
الزمان مرتبطا بفكرة الموت، لارتباطا يكاد يكون جدليا في معسار
التفكير الكاموي.

— رؤية الموت: الموت كما هو متداول هو الحقيقة الكبرى، فنحن
لا نملك تجربة الموت، ولا يعرفها إلا من يموت، كل ما نملكه هو اليقين

(1) J.P. Sartre , La nausée , p 163 .

(2) " De même et pour tous les jours d'une vie sans éclat, le temps nous porte."

O.C , T.II ? p 107 .

بأننا سنموت في يوم ما ، لأننا نموت وموتنا ، في نظر كامو ، لا مفر منه ولا تفسير له ، أي لا معنى له ولا يمكن تبريره ، لذا يقول " ... وأخيرا أصل الى الحديث عن الموت وعن شعورنا نحوه ، مامن أخلاق ولا مسعى يمكن تبريره سلفا من الرياضة الدموية التي تتحكم فينا وتفرض سلطانها علينا " (1) ويعني هذا الموقف رفض كامو للاعتقاد بأن ثمة عالما آخر ربما يكون التقيض للعالم السفلى الناقص - فممّ كامو هو التمتع الكامل بالحياة الحاضرة وعدم الاكترات بما بعده ، هذا الحياة :

" اذا رفضت بعناد ان أعتقد في كل ما بعد هذه الحياة ، فلأنى غير مستعد لأن اتكبر لثروتى الحاضرة ... انه لا يروق لي الاعتقاد بان المنية تنمى الى عالم آخر - انما بالنسبة لي باب مغلق (2)

- القلق = وهو من أهم الأحوال العاطفية التي تلازم الشعور بالموت أو العدم - وقد عني بدراسة هذا القلق كيركغارد - ويبلغ القلق ذروته عندما يحتدم التعارض بين غريزة حب البقاء واليقين بأن الموت ، ذات يوم ،

(I) "Aucune morale ni aucun. effort ne sont à priori justifiables devant les sanglantes mathématiques qui ordonnent notre condition ." O.C,T.II , p 105.

(2) " Si je refuse obstinément tous les "plus-tard" du monde , c'est qu'il s'agit de ne pas renoncer à ma richesse présente. Il ne me plaît pas de croire que la mort ouvre sur une autre vie. Elle est pour moi une porte fermée." O.C,T.II,p63 .

سيقضي على هذه السعادة لا محالة - كما أن القلق تعبير عن رغبة فيما يخشاه الفرد ونفور عاطف منه، "والقلق هو دائما قلق من أجل أو على"، والقلق موضوعه العدم وهو غير متعين... والشعور بالعدم ناتج عن تحقق امكانيات دون أخرى.. والقلق الصادر عن الموت هو قطعاً أشد قلق يعانيه الانسان في حياته لأنه إنما لا مكان الوجود في العالم" (1)

إن هذه الرؤية المأساوية للوجود البشري هي التي حدث بالكثير إلى إدراج كامو ضمن قائمة الفلاسفة الوجوديين، ذلك أنه يشترك مع هؤلاء الآخرين في هذا الشعور الحاد والتشائم تجاه الوضع الذي غرسه للانسان في هذا الوجود، لذا يعتقد عيمانويل موني في أن الوجودية تمتاز بمكونها نظرة متشائمة عن العالم، بل يرى أكثر من ذلك، انه يرى ان الوجودية تتصور التجربة الانسانية على انها تجربة درامية متميزة (2)

بيد أن كامو يرفض كل المذاهب الفلسفية - الوجودية حتى التي انبثرت لتفسير العالم بكيفية أو بأخرى، ورفضه ذلك يبرره بحجة

(1) د / عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، ص 173.

(2) E. Mounier, Introduction aux Existentialismes, p 37.

مفادهما أنه لا يمكن بلوغ المطلق المعرفي ، ونعني بذلك المعرفة الميتافيزيقية - فقولاً يتورع من أن يصح في وجوه هؤلاء الفلاسفة: "أريد أن يتضح لي كل شيء أولاً شيء" (1) هذه إذن هي صورة سيزيف التي حكمت عليه الآلهة بأن يظل يكبد ويعمل دون جدوى والغريب في كل هذا، أن كاموي يطلب منا أن نتصوره انساناً سعيداً (2) ترى مثل بالامكان تصوره كذلك وهو الذي يأبى في أنفه وكبرياءه إلا أن يتحدى قدره القاسي ، "فلو كان يجهل هذا القدر مثل أوديب لكان في جهله به، وإحساساً بأنه مظلوم ما يحمل إلى التي نفسه بعض المزاء" ، ولكن سيزيف يعرف قدره منذ البداية، كما يعرف ألا أمل في الغلام (3) ومهما يكن من أمره، فإنه لا مفر من البحث عن كنه ماته السعادة التي يستشققها كاموفي مأساه سيزيف (4) أن سيزيف ، بالنسبة لكامو، هو رمز الكبرياء الصامت الذي يتوغل فيه الإنسان كأسلوب من أساليب التحدي لآلهة، فحسب رغبته إدراكه لعقم عمله، يواصل الكد والجهد اعتقاداً منه أن الصخرة التي تنوء على كاهله هي جوهر هذا الإنسان الذي كتب عليه

(1) " Tout ou rien . " O.C , T. II , p 123 .

(2) " Il faut imaginer Sisyphe heureux . " Ibid , p 198 .

(3) د . عبد الغفار مكاوي ، كامو ، (ص 44) .

(4) وبالمقابل نجد سارتر يقول عكس ذلك تماماً : " أن الوعي الإنساني متألم في وجوده "

وهو لا يقوى على تجاوز حاله وقدره . " 134 Page l'Etre et le Néant

تحمّلها ، وفي تحمّله لنا يكمن مجده و عزته ، لكن ، هل يمكن اعتبار هذا الكبرياء "نوعا من السعادة ؟ لأن الجواب لا يمكن ان يكون الا بالنفي فعنتي كامو نفسه يقول " . لأن الانسان الذي يقف وجها لوجه مع نفسه ، أراحن على أنه لا يقوى على ان يكون سعيدا " (1) ومع ذلك كله ، يلح كامو ايما الحاح على اعتبار سيزيف سعيدا ، لا اعتقاده بأنه "إنسان يعلم ويحي"

وهنا أيضا لا مندوحة لنا من طرح السؤال الذي يستتبع السؤال الذي طرحناه من قبل : "هل يمكن للوعي بالشقاء ان يتولد عنه السعادة ؟ وهل يسعد الانسان عندما يدرك أنه شقي ؟ قطعا لا لانه من الصعب تصور "عزة ميتافزيقة في تحمل محاليلة العالم" (2) كما أنه من الصعب جدا تصور سيزيف سعيدا ، لكن النقد الاساسي الذي يمكن أن يوجّه الى كامو ، هو أنه ينطلق من مصدر

(1) ج ، جوايو ، البير كامو والثورة الجزائرية ، مجلة الشقافة ،
خ 5 ، نوفمبر 1971 (ص 44)

(2) " On ne découvre pas l'absurde sans être tenté d'écrire quelque manuel du bonheur . " O.C , T.II , p 197 .

تشاؤمي منطلق في التشاؤم (1) فـمـولـا يـنـتـأـلـلـلـوـجـود لـا مـن مـنـه
الدائرة المنطقية التي يسميها اللا معقول، ولهذا يمكن القول بأن
هذه النظرة التشاؤمية نظرة قبلية إلى الحياة، وفكرة مسبقة
عن تابعها المأسوي ويتضمن تجاهلا لمعاملات التجربة وافقارا
لثروة تجلياتها وتنوعها. (2)

سبل الخروج من دائرة اللا معقول

أ - الانتحار الجسدي

إذا كانت الحياة تناسوي على هذا اللا معقول وهذه التعاسة
المتنامية فيها - كما يرى كامو - فمن هذه الحياة تستحق أن تعاشر
أم لا؟ هل يتأقلم الإنسان مع هذا الوجود العبثي أم يعرض عنه؟ وإذا نزع
السؤال الثاني، فكيف سيكون، إلا عراض؟ هل سيكون الانتحار
على أساس ان الانتحار هو المشكلة الجذرية الوحيدة في الفلسفة.

-
- (1) وقد صور له حسين هذا التشاؤم قائلا: "يستأبح (الإنسان) أن يؤثر لونا
من الحياة على لون، ونسريا من التفكير على غريب، وفنا من التصرف على
فن، ولكنه لا يستأبح أن يجعل للوجود نهاية أو فرضا،
أنه دفع إلى الحياة غير مختار وسيدفع إلى الموت غير مختار
فحريته محدودة بشذنين النوعين من الجبر، فليصانع الحكمة
أن شاء وليصطنع الحمق أو أحب، فلن يخرج من هذه الحلقة
المفرغة بحال من الأحوال..." المجموعة الكاملة، ج 6، ص 735.
- (2) د / الربيع ميمون، "نظرة القيم في الفكر المعاصر"، ص 176.

إذا نحن أجبنا بما لا يجاب به فلا محالة إن جوابنا سيستلزم
مناقضات إلى حد كبير، ولكن الانتحار يلحقنا بالاشكال ولا يخلو من أية
حاشية من الاعتراضات. لأن الانتحار، في مدلوله الفلسفي، هو تدمير
الوعي الذي أدرك اللا مقبول والذي لا يملك إلا أن يعيش بموجبيه،
خاصة وإن الوعي هو القيمة العليا للكائن البشري. (1) وهذا هو
كامو الذي أبعد من هذا، إذ يرى أن التجربة العيشية أو التجريبية
المدعاه تلزمنا ببقاء كل محدود بهذه التجربة، ووعي : الوعي من جهة،
واللا مقبول من جهة أخرى. ولذا، فإذا أدركت بأن وجودك غلط ومن كل
معنى ومدفاه، فلا يليق بك المناوأة، بل يجب عليك أن تتشبث
به وتحياه. أما إذا عنت لك أن تسأل كامو نفسه : لستم هذا الاصرار
المستमित من أحد أبناء اللا مقبول، فسيرد عليك : « قد تبعدا
كل أحكام القيمة - كما يزعم - ليستند إلى أحكام الواقع فحسب،
فيقولون أن أبناء اللا مقبول إنما يدعون باسم الشرف (2) ! ومعنى هذا
أيضا أن كامو يعطينا على احترام قواعد اللعبة العيشية التي تفرض
علينا قسرا. غير أنه يمكن الاعتراض عليه بأنه قد اختار هذه
القواعد وأنها ليست واردة في تجربة المحال، وإن كان مافى الأمر أن هذه

(1) Robert de Luppé, Camus, p 21.

(2) O.C, T.II, p 117.

القولعد هي من ايمازحدة ومعاناته العادة لفكرة المحال التي هي تجربة فردية نسبية لا يمكن تعميمها . علاوة عن كونها تداهم الفرد في زمان ومكان معينين .

نستنتج مما سبق ان الوعي باللا معقول لا يلغي الموجود وذلك لا اعتقاد كاموبأن الوعي باللا معقول يولد رغبة عارمة في الحياة الحاضرة ولا يحباً بالحياة الاخرية مردداً مع الشاعر Pindare قوله : "ايتها الروح ، لا تتلصقي للحياة الخالدة ، بل استنفدي حدود الممكن (1) ولما كان الموت نهاية لكل مشروع فالمشم كما يرى كامو هو "ان تعيش أكثر..." ونفهم هذا أن كامو يستبعد فكرة الانتحار الجسدي لانه في نظره "جميل" (2)

ب - الانتحار الفلسفي .

تري اذا كان الانتحار الجسدي ليس هو السبيل القويم للتوصل من دائرة المحال أو اللا معقول ، فما هو البديل ان ذاك ؟ هل هو الأمل ؟ لكن الأمل في ماذا ؟ في عالم أفضل ؟ قلنا فيما مضى ان كامو لا يحباً يمثل هذه المواقف التي تقلت من الادراك الحسي البشري ، ويقول في هذا المعنى :

(I) " Oh! mon âme , n'aspire pas à la vie éternelle, mais épuise le champ du possible."

O.C , T.II , p 148 .

(2) " Le suicide est une méconnaissance ." Ibid , p 139 .

"أن مملكتي من هذا العالم، فأنا لا أعبأ بالخلود ... أنا أحب الحياة ...
أن العالم جميل وخارجته لا يوجد الخلاص" (1) . فالحياة الحاضرة إذن - في
نظر كامو - هي القيمة العليا ، وليس ثمة من عالم متعال عليهما .
والعيش في كنف اللا معقول إنما هو العيش في جو من انعدام الأمل
كما يرى كامو، لكن الأدهى في هذا كله، أن كامو سرعان ما يستدرك
بأن انعدام الأمل لا يعني اليأس (2) ؛ وكل ما هنالك أنه يجب تحمل
وتقبل ما هو آني *immédiat* ، أي تقبل اللا معقول مع كل ما يفرزه
من معانات روحية قاهرة ، لأن الوجود ، في جوهره لا معقول كما
يعتقد كامو . والأدهى أيضا أن كامو يبعث بهذه النتيجة التي
مداها الأقصى فيخلص إلى أن "ثمة سعادة ميتافيزيقية في ابقاء
محالية الوجود ، فنحن لا نكشف المحال دون أن تستمونا فكرة
كتابة سفر في السعادة" (3)

نفهم من كل ما تقدم أن كامو يدعونا إلى العيش واللا معقول
وذلك دون أن نغذي أملا من شأنه أن يمنحنا شيئا من السعادة ويخفف

(1) " Le monde est beau , et hors de lui , point de salut . " O.C , T.I , p 58 .

(2) " L'absence d'espoir ne signifie pas désespoir " O.C , T.II , p 150 .

(3) " On ne découvre pas l'absurde sans être tenté d'écrire quelque manuel du bonheur . " Ibid , p 197 .

علينا من معاناتنا له، خاصة وأنّ اللا معقول لا ينفك يسربلنا بالقلق الحاد تجاه الوجود والموت الذي لا مفرّ منه . ومن المعروف أن القلق يشكّل حجر الزاوية في تجربة الفلاسفة الوجوديين . ومن نافلة القول أن معاناته قاسية ومضنية ، ولقد مرّ بها عدة فلاسفة . غير أن كل واحد منهم ارتأى لنفسه مخرجا لأن اليه واطمأن ، بيد أن كامو يشجّب هؤلاء الفلاسفة الذين أداروا وجوههم للامعقول لما سبب لهم من قلق نفسي ، ليرتموا في أحضان الدين الذي ألفوا فيه بلسما لمعاناتهم ، وحلوا الاشكال الوجودي عند فرارهم الى الله مثل كيركجارد . Kierkegaard وشيشتوف (1) Chestov يأخذ كامو عليهما كونهما تملّصا من اللا معقول تملّصا لا شرعيا . يرى كامو ان كلا منهما أقربلا معقولية الحياة وعلني منهما الامرين ، غير أنهما في خاتمة المطاف، ارتميا في أحضان الدين . ويعتبر هذا الارتما بمثابة قفزة وجودية Saut existentiel ويصف كامو هذه القفزة بأنهما "انتحار فلسفي" . لكن لماذا يعتقد كامو ذلك؟

(1) ليون شيشتوف Chestov فيلسوف روسي (1866 ، 1938) علاني هو الآخر تجربة اللا معقول . ولما كان من معتقي المسيحية ، ضم الى الفلاسفة الوجوديين المسيحيين . من مؤلفاته : " فلسفة المأساة . (1927) ، كيركفرد والفلسفة الوجودية " (1936) .

يرى كاموبان كيركفارد وشيستوف، قد ضحيا بقيمة العقل (1) أي الوعي الذي أدرك اللا معقول في الوجود . كما يأخذ عليهما قضاء؛ مما على القيمة الانسانية التي ينطوي عليها المحال ليحلا منه في النماية قيمة تسمو على الادراك البشري (2) وهو الايمان بعالم آخر أمثل يكون البديل لهذا العالم الدنيوي التعبير، وكامو فـ في نسقده لهما، إنما ينقد المضحج الذي أوصلهما الى الله . من عرضنا السابق لتجليات، اللا معقول كما يتصورها كامو في نموذج الانسان العبثي، أي سيزيف، يمكن أن نلاحظ ما يشبه التفكير المتناقض، ذلك أنه لا يفتأ يتأرجح بين تشاؤمية مطلقة قوامها عدم الجدوى من هذا الوجود القاتم والعيش في كنف اليأس الذي لا يرى للغد بصيصا من النور يكون فاتحة عهد جديد ورؤى تتسم بالأمل تجعل الحياة جديرة بأن تعاش. ونلاحظ من جهة أخرى الحاحا عنيدا من كامو يحدونا من خلاله الى تصور سيزيف سعيدا، ويقع ذلك، بعد أن يثقل كاهله بهذا الثقل الميتافيزيقي الذي يدعوه كامو باللا معقول، ويحمله على التجرد

(1) " Sacrificum Intellect " . O.C , T.II , p 125 .

(2) O.C , T.II , p 124 .

من كل أمل ، أى الأمل في حياة أخرى أفضل . وهنا لا مندوحة
لنا من التساؤل لم يرفض كامو هذا الأمل ؟ اليس الأمل ، إلى حد ما ،
هو جوهر الانسان ؟ اليس هو غذاؤه الروحي حين تغشاه الظروف
الخالكة ؟ لم يرفض كامو المربوب إلى الله ؟ حين يعترى الانسان
القلق الوجودي ، فلا يجد من ملاذ إلا ملاذ الدين الشافعي ؟
اليس هو الملاذ الوحيد حين يعجز العقل عن حل إشكالية
الوجود وسبر أغواره . ثم حين نزع أن العالم لا معقول ، فلن
ذلك يفترض ان ثمة عالما أفضل ومعقول (1).

(I) Jean Grenier , cité par Georges Blin , in revue Fontaine , n° 30 , Paris 1943
p 560 .

الفصل الثالث

الانتقال الى التمرين

- بديل الانتحار -

يمكننا ان نستتج من كل ما سبق ان المدول هو الانتحار
يعني لا بقاء المحال او اللا معقول والعيش بمقتضاه ، إذ يرى كامو
ان اللا معقول هو الحقيقة الواضحة داخل هذا العالم الغريب ، فالانتحار
الجسدي يلفي الاشكال ولا يحلّله ، في حين أن الأمل في حياة
أخرية أفضل - وهو ما يدعوه كامو بـ "الانتحار الفلسفي" - أمل
مستعصي التحقيق .

ترى اذا كان الأمر كذلك ، فما هو البديل الذي يقترحه كامو
لمواجهة اللا معقول ؟ إنه التمرد . لكن كيف يمكن فهم هذا
التمرد ؟

يقول كامو : " ان التمرد هو الصراع بين الانسان وغموضه الذاتي" (1)
وهذا يعني أن التمرد هو المطالبة بنوع من الشفافية المستحيلة ، كما
يعني وضع المعالم موضع السؤال من كل لحظة من لحظاته -
ولما كان التمرد هو مواجهة اللا معقول ، فالوعي منصب عليه ، ذلك
" ان العيش همنا انما هو العيش واللا معقول" (2)

(I) " Elle (la révolte) est un confrontation perpétuel entre l'homme et sa propre
obscurité ..." O.C, T.II , p 138 .

(2) " vivre , c'est faire vivre l'absurde ..." Ibid , p 139 .

ومعنى هذا أيضا أن تجربة اللا معقول ضرورية لأنها ترفض كل
المعتقدات السابقة وكل التفسيرات والشرح الفلسفية والدينية التي عكفت
على تفسير العالم وتحديد غاياته .

وتبعاً لذلك ، فإن هذه التجربة ، تحرر الوعي من جميع قيوده ،
وتنتشله من الانقياد وراء هذه التفسيرات ، وتمنحه سلاح الشك والحيطة ،
هذا ويعتقد كامو أن تجربة اللا معقول لا يمكن تجاوزها ورفعها
إلا بواسطة التمرد . غير أن هذا التمرد يبدو وكأنه نوع من الكبرياء
الذى ما بعده كبرياء . بحيث يجعل كامو الإنسان في مواجهة
اللا معقول مواجهة لا تعرف المدنة ، وكأن الإنسان قمين بأن يتغلب
على اللا معقول بسهولة ويسر كبيرين !)

هذا هو التمرد الذى يرثيه كامو بعد رفضه الانتحار . وهو يعنى ،
في جوهره ، إبقاء الصراع قائماً بين الإنسان والعالم الذى يكتنفه
ويستفلق على ادراك الإنسان (1) .

(I) " La conclusion dernière du raisonnement absurde est , en effet , le rejet du suicide et le maintien de cette confrontation désespérée entre l'interrogation humaine et le silence du monde . " O.C. , T.II , p 438 .

التمرد الميتافيزيقي

وهذا التمرد ، علاوة عن كونه ينبثق من تجربة شخصية ،

هو تمرد ميتافيزيقي ، يعرفه كما موبقوله :

"لأنه الحركة التي يثور المرء بموجبها على حاله وعلى الخليفة كلهما .
انما ميتا فزيقية لأنها تعارض في سلامة الغايات الخاصة بالانسان
وبالخلقة بأسرها . فالعبد يحتاج على الوضع الذي يفرض عليه
في داخل حاله ، اما المتمرّد الميتافيزيقي فيحتاج على الوضع المقدّر له
بوصفه لإنسانا . . . (1)

علام التمرد ؟ ان التمرد كما سبق ان قلنا يكون على اللا معقول ،
ذلك ان العنصر الميتافيزيقي يثور على مبدأ الظلم المتفشى فيه ويعارضه
بمبدأ العدل القائم في نفسه .

"انه نزاع الى بلوغ الوحدة السعيدة ضد آلام الحياة والموت . انه ينكر
الموت ، وفي نفس الوقت ، يرفض القوة التي تلزمه بالحياة في مثل
هذه الحالة التي تنتمي ضرورة بالموت (2) ومعارضة المتمرّد لكل مظاهر
الآلام في الوجود ، لاتعني أنه ملحد ، بل هو مجدف Blasphémateur .

بـ

(I) " La révolte métaphysique est le mouvement par lequel un homme se dresse contre sa condition et la création tout entière . Elle est métaphysique parce qu'elle conteste les fins de l'homme et de la création . L'esclave proteste contre la condition qui lui est faite à l'intérieur de son état ; le révolté métaphysique contre la condition qui lui est faite en tant qu'homme ... " O.C, TII , p435.

(2) د . عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ص . 135 .

باسم النظام ضد العالم الذي ينطوي على الفوضى، كما أنه يجذف
ضد دنيا تنتمي دائما بالموت وتبعاً لذلك فهو يجذف ضد "آله" يرى
فيه المسؤول على الشر وظاهره في العالم . فهذا التمرد اذن "ليس
هو ولا لحاد شيئاً واحداً" (1)

ثم يحاول كامو ان يجسد هذا التمرد الميتافيزيقي عبر حركة
التاريخ ، فيرى بأن هذا التمرد يبدأ بـ:
أ- الشيطان الذي أبقى ان ينصاغ لأمر الله ويسجد للبشرية .
ب- برميثيوس ، الثائر على الآلهة عند اليونانيين ، يبدأ أن كامو
يصوره - لا كثنائر على الخليفة كلها - بل على زيوس Zeus فحسب .
وبينما هو يحلل هذه الظاهرة - أي ظاهرة التمرد الميتافيزيقي ،
يرى كامو بأن المسيحية جاءت لتقف ضد هذا التمرد الميتافيزيقي ،
وذلك بان تضع المسيح وسطاً بين الله والخلق .

ومع ذلك كله ، يرى مفكرنا بأن التمرد الميتافيزيقي الحقيقي
انما يبدأ بالاديب ، الفرنسي : الماركيز دوساد Le Marquis de Sade الذي
ذاع صيته بسبب كتاباته الاباحية . ولقد ردّ هذا الاديب الطبيعة
الى الجنس ، ففالى في السموات . اضف الى ذلك أنه حبّذ الجريمة

(I) " Le révolté métaphysique n'est donc pas sûrement athée .." O.C , TII, P436.

وطالب بالحرية المطلقة ، فمولا يتصور العملية الجنسية الامتوجية
بقتل الطرف الآخر . وهو القائل : " لننق أكره الطبيعة ، وأود لو
قلبت خططها رأسا على عقب ، واعتزضت طريق سيرها ، ووقفت
عجلة الكواكب وحطمت الاجرام المحلقة في الفضاء ، ودافعت
عما يضربها " (1) بل يذهب الى ابعد من ذلك اذ يرى : " الحرية
هي الجريمة والا ليست بحرية " (2)

ومن الماركوي دي ساد ، ينتقل كامو الى الاديب الروسي دوستويفسكي
Dostoievski ، حيث يجد كامو في شخصية أحد أبطاله ، وهو ايفان
كرامازوف 1 من يجسد هذا التمرد الميتافيزيقي ، غير ان تمرده
موسم بنكمة جديدة ، فايفان كرامازوف يرفض الخلاص
السموي كما يرفض اعتناق دين من الاديان اعتاقا قد
يكون قمينا بأن يقيه شروراً رق اللامعقول في الوجود ، وهو ان
يرفض ذلك انما يقدم على ذلك باسم التضامن مع المعذبين في الارض

(I) الماركوي دوساد (1740 - 1814) اديب فرنسي ، ذاع صيته بسبب كتاباته
الاياحية المخرقة في الاباحية - قضى قرابة ثلاثين سنة في السجن لفجوره
وحياته الخليعة .

(2) د . عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، ص 189 .

ولما بات في اعتقاده أن الوجود ينطوي على اللا معنى ،فهو لا يتورع
عن استباح الجريمة . (1)

ثم يلحق كامو هذا التمرد قائما على البناءات الفلسفية
الكبرى ،اذ ذاك ، يقف عند كل من ستيرنر Stirner (2) وينتشه
• فالاول يؤيد القضاء على الافكار الأزلية الابدية ،(ي ا)
والابقاء على الاوحد ،اي انه يدعو الى الفردية المطلقة
وينكر كل ما يحول دون تحقيق الفرد لحريته وفي هذا
المعنى يقول : "خذ كل ما تحتاجه ... ان مشكل الملكية
لن يجد حلا إلا اذا قامت الحرب بين الجميع " (3)

اما نيتشه ، فانه يؤكد على توغّي المدم قصود
ايجاد قيم جديدة تقوم على انقراض القيم القديمة البالية ،

(1) Bernard Gros , Camus , p 29 .

(2) ماكس ستيرنر فيلسوف ألماني (1355 - 1356) من أهم مؤلفاته : الاوحد والملكية
وفيه ينتقد الليبرالية ويقترح الفردانية الفوضوية كبديل لها .

Dictionnaire des noms propres Robert 2 P 1746 .

(3) pierre paraf , Les grandes contestations de l'Histoire , p 96 .

ويكون ذلك بعد "موت الآلهة" ومن هنا، انبثقت العدمية Nihilisme (1) التي تؤدي، حسب نيتشه إلى إرادة القوة التي بفضلها سيوجد "الإنسان الأعلى"، وتفترض هذه النزعة العدمية الإلحاد ورفضاً قطعياً للقيم المسيحية.

هذا ويتجلى - حسب كامو - التمرد الميتافيزيقي في النزعة "فوق الواقعية" (2) Surrealisme، فيرى كامو بأن من أهم بنود "السريالية": الثورة المطلقة والتخريب التام وعبادة اللا معقول. ومن بنودها الأخرى اعتقادها أن الإنسان برئ، ولهذا يجب إعطاؤه كل القوة. وترى النزعة السريالية، هي الأخرى، ضرورة إباحة القتل والانتحار بدليل أن أحد أقطاب هذه النزعة وهو أندريه برتون A. Breton يرى أن أبسط عمل يقوم به السريالي هو "النزول إلى الشارع بمسدس في اليد وإطلاق النار على الجماهير" (3)

-
- (1) العدمية Nihilisme ثلاثة أقسام: فلسفية، أخلاقية وسياسية. العدمية الفلسفية تتميز بانكار وجود كل شيء، كما تتميز بانكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة. أما العدمية الأخلاقية فهي نزعة فكرية تنكر القيم الأخلاقية. وأما العدمية السياسية فقوامها انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية والامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد. والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية. د / جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، ص 66-67.
- (2) السريالية Surrealisme أو ما فوق الواقعية، وهو لفظ وضعه Apollinaire سنة 1917. ثم انتشر هذا اللفظ في الربع الثاني من القرن العشرين فاستعمله Breton وغيره من ممثلي هذا الاتجاه الذي قوامه احتقار التراكيب العقلية والروابط المنطقية المعروفة والقواعد الأخلاقية والجمالية المألوفة والاعتماد في الإنتاج الأدبي والفني على اللا شعور واللا معقول والأحلام والحالات النفسية المرضية. (انظر د / ج. صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 606).
- (3) أندري برتون (1896 - 1967) أديب فرنسي يعتبر منظر الحركة الأدبية السريالية.

هذه هي اللوحة التي يستشف فيها كاموما اصطلاح على تسميته

بالتمرد الميتافيزيقي وذلك على مستويات ثلاثة هي : الدين والادب والفلسفة . ومهما يكن من أمر ، فان كامو انتقد هذا التمرد الميتافيزيقي لاعتقاده بانه تمرد سلبي وهدمي وعنيف لا يفهم كنه الانسان وطبيعته الروحية . ويفهم كامو هذه الطبيعة البشرية على انها مفطورة على حب الاعتدال ونبذ التطرف .

أ - التمرد الميتافيزيقي على المستوى الفردي

التمرد الميتافيزيقي عند كامو ينطوي على بعدين اساسيين : وهما البعد الفردي والبعد الجماعي . لنبدأ بالأول ، أي البعد الفردي ونجد هذا التمرد مجسدا في مسرحية كاليجولا Caligula ومقالته الفلسفية : أسطورة سيزيف " Le mythe de Sisyphe " .

كاليجولا Caligula

إن كاليجولا امبراطور روماني شاب كان يؤمن في بدو حياته بأن الفن والحكمة والدين عبارة عن أدوية شافية لآلام الانسان وقدره التعيس . وذات يوم ، حيا ل وفاة أخته ، يشور على هذا الفراق المحتوم والنهائي ، يصيح قائلا : " ان الاشياء كما تتراءى لي ليست مرضية ، لم أكن أعرف ذلك من قبل ، ولكسي الآن قد أدركت . ان هذا العالم لا يطاق . أنا في حاجة الى القمر والسعادة أو الخلود ، اني بحاجة الى شيء قد يكون جنونيا ولكن ليس من هذا العالم " (1)

(1) " ... Les choses telles qu'elles sont ne me semblent pas satisfaisantes... Ce monde tel qu'il est fait n'est pas supportable . J'ai donc besoin de la lune ou du bonheur ou de l'immortalité , de quelque chose qui soit dément peut être , mais qui ne soit pas de ce monde ..." O.C , T.I , PI5 .

العالم الذي يكتنف كاليجولا عالم ينتهي ضرورة بالموت . لذا ، فهو لا يقوى على تحميله ومجاراته . انه يرنو الى عالم آخر ينطوى على معاني السعادة الأبدية والخلود . ولكنه عندما ادرك استحالة بلوغ هذا المقصد ، فانه ينبرى ليتمرّد على ناموس هذه الحياة الناقصة . ولما أدرك أيضا أن هذه الحياة تؤول الى الفناء حتما ، يقرر كاليجولا ان يكون في مستوى قسوتهما . ترى كيف سيخلع على نفسه سمات القسوة والتكيل ؟ انه يرى بأن ليس ثمة الا طريقة واحدة يمكن ان يضاهي بها الألفة التي تتحكم في هذا العالم : وهي أن يكون قاسيا على غرارهما .

وبينما هو يفكر بهذا المنطق ، يعتقد في قرارة نفسه أنه حاز الحقيقة الشافية التي كان يسعى الى بلوغها ، كدنا يمتدّد أنه لاستكته سر الكون ، فحينئذ ينبرى ليعلم هذه الحقيقة للآخرين يقول كاليجولا في هذا الشأن : لدى الوسائل الكافية لأجعلهم (يقصد الآخرين) يعيشون في الحقيقة ، لأنني أعرف ما ذا يعوزهم . " (1)

الآن كيف سيواجه كاليجولا مهمة الأستاذية الجديدة ، اذا كان يعتقد بالفعل أن الناس من حوله في حاجة الى استاذ ما عرف يعلمهم الحقيقة ، اي حقيقة هذا الوجود الغامض ؟

(I) " ... J'ai les moyens de les faire vivre dans la vérité . Car je sais ce qui leur manque ... " O.C , T.I , 16 .

لأنه يبادر بفرض كل التنازلات وكل الاقنعة وسائر المجملات التي من شأنها ان تصرف الانسان عن فهم ما حوله . فهدفه الاسمي هو تعليم الحقيقة اذ يقول : " كل ما حولي كذب وزيف ، وأنا اريد أن تعيشوا في الحقيقة " (1)

وتتلخص الحقيقة في رأيه في أن الحياة تنتمي - لامحالة - بالموت - وهو أمر لم يدركه الا عندما اختلطت المنايا اخته - ولذا فان تمرده سينصب على الموت ، رائده في ذلك حل اشكالية الموت - لكن كيف التمرد على الموت ، وهل في مقدور الانسان التمرد على الموت ؟

إن حل اشكالية الموت كما يرثيه كاليجولا ليس حلاً فلسفياً ، كما قد يتبادر الى اذهاننا أو حلاً ذاتياً قد يلتمسه في قرارة نفسه فيلوند به - وإنما الحل الذي انبجس في ذهنه إنما هو حل عدمي عدمي : فهو يرى بأن حل اشكالية الموت إنما يكمن في الاقدام على قتل رعيته ، واحداً تلو الآخر - كيف يفهم هذا الحل او هذا التمرد ؟

(I) " ... Alors , c'est que tout autour de moi est mensonge , et moi , je veux

qu'on vive dans la vérité ... " O.C , T.I , p 16 .

يرى كاليجولا بأنه يقدم على قتل ذويه ورعيته الآن لأن الموت لامندوحة منه ، أن أجلا أو عاجلا ، وهو ان يفعل ذلك فهو يريد التشبه بالآلеме ، مقتنيا آثارها ومحاكيا قسوتها . وهو ان يفعل ذلك ، يريد اقتناص المستحيل او المطلق (1) لكنه سرعان ما يدرك ان تمرده ذلك لا يفي بالمقصود ، وأنه لا يحل الاشكالية بأيّة حال من الاحوال فيعترف ان ذلك :
" لكن القتل ليس حلا " (2)

لقد ادرك في خاتمة المطاف ان التمرد على الموت ، بواسطة قتل الآخرين هو بمثابة تمرد متناه في السلبية . وتتمهي حياة كاليجولا نهائية مأساوية فاجعة ، فبعد ان يعتريه الجنون ، تتآمر عليه حاشيته وترديه قتيلا . اما عن الخطأ الذي وقع فيه كاليجولا فيه متمثل في أنه لم يعترف بالحدود التي يقف عندها كل عمل انساني أيا كان (3)

(1) B.Gros , Camus , p 19 / 20 .

(2) " Mais le meurtre n'est pas une solution ..." O.C , T.I , p 28 .

(3) B. Gros , Camus , p30 .

سيزيف Sisyphé

يشارك سيزيف مع كاليجولا في كونهما متمردين ميتافيزيقيين ،
فكل منهما يثور على هذا الوجود المتناهي ، وكل منهما يصبو الى
ادراك المطلق وبلوغ الوحدة السعيدة ، بيد ان سيزيف ينبرى
ليقلب غاية وطرق التمرد التي توخاها . كاليجولا - ينبرى لقلبها
رأسا على عقب ، فسيزيف ينمى تحويل هزيمة صاحبه الى انتصار -
فسيزيف ، رغم معاناته للا معقول وقسوته ، يعتقد
بأن : " ثمة سعادة ميتافيزيقية في مواجهة اللا معقول ... " (1)
ويفهم من هذا الكلام أن اللا معقول ، رغم ما يسببه
من آلام وعنيت ، لا يؤدي الى التشاؤم الحاد والمطلق
بل يتولد عنه ، اى في مواجهته وتحمله ما يشبه السعادة
والرضا ، ولا ينبغي فيما يخصنا إلا أن نفهم هذه السعادة
على انها نوع من الأنفesse والتحدى المكابر الذي لا يستوى
مع قساوة اللا معقول في التجربة الكاموية .

(I) " Il y a un bonheur métaphysique à soutenir l'absurde ... "

O.C , T.II , p195 .

وهل صحيح " أننا لا نكتشف إلا معقول دون أن تسموينا

كتابة سفر في السعادة " (1) ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال ، حري بنا أن نواصل مسيرتنا
مع كامو حتى نصل إلى كنه هذه السعادة كما تتبرأى له
سبق لنا أن تعرفنا على هزيمة كاليجولا الفلسفية والتي تتمثل
في استحالة بلوغ المعرفة المطلقة - ولما كان الأمر على هذه
الشكلية ، يرى سيزيف - أننا لا نعيا بالمطلق ولا بالوحدة
المتعالية - فالذي يعمه هو التعدد ، كما أنه لا يعيا بالخلود
وانما الذي يعمه هو كل ما هو آني *immédiat* .

ولهذا ، فعو يردد مع الشاعر اليوناني بنندار(2) Pindare قوله
"أيها النفس لا تطلعي للحياة الخالدة ، بل استقدي حدود المكان"
ومعنى ذلك أن سيزيف ، بعد رفضه لفكرة الخلود ، سيوقف حياته على التعدد ،
وتبعاً لذلك ، فإن تمرده إنما سيكون عبارة على تعداد التجارب
الحياتية والرغبة العارمة في القمتع بالحياة تمتعا عاجلا ومتواصلا .

(I) " on ne découvre pas l'absurde sans être tenté d'écrire quelque manuel du bonheur ..." O.C , T.II , p 197 .

(2) شاعرا غريقي (433 - 512) .

كما أن تمرد سيزيف هو "الامبالاة بالمستقبل والرغبة العارمة

في استنفاد كل ما هو منطوي" (1)

ويستتبع هذا المنطق ميلاد أخلاقية الكم-Ethique de quantité التي

يعرفها كامو على النحو التالي :

"لأن الإيمان باللامعقول يستدعي استبدال نوعية التجارب

بالكم" (2) إذن سيوجه سيزيف اهتمامه كله إلى كثرة التجارب،

دون أن يعير اهتمامه لنوعيتها أو مدى سموها وثرافتها .

هذا ويخص كامو "لأخلاقية الكم" مائة الجزء الثاني

من كتابه "أسطورة سيزيف" وفيه يدعونا إلى التفرج على أبطال

"أخلاقية الكم" ومن هؤلاء الأبطال : دون خوان Don Juan ، الممثل

Le comédien . فالأول أوقف حياته على مراودة النساء ومغازلتهم

في حين نجد الثاني ، أي الممثل ، يصول ويجول من شخصية

إلى أخرى بدافع من فلسفة التعدد . وهذا الدافع ينطوي

على معاني التمرد ، أي التمرد على استحالة بلوغ الوحدة والمطلق .

(1) " ... l'indifférence à l'avenir et la passion d'épuiser tout ce qui est donné ."

O.C , T. II , p 142 .

(2) " La croyance à l'absurde revient à remplacer la qualité des expériences par la quantité ... " Ibid , p 143 .

والتعداد ، بهذا الاعتبار هو تعداد ما لا نقوى على توحيد .
لكن هل تبني اخلاقية الكم قميئة بأن تمنحنا السعادة
المنشودة - ان كامو يدعونا الى تصور سيزيف سعيدا - ترى
هل يمكن تصويره كذلك؟

ان السعادة التي يريد كامو ان يخلصها على هذا الانسان
هي سعادة موعومة ، ذلك أنه حتى الفلسفة التي يدعوا اليها
فلسفة مستحيلة التحقيق . يضاف الى ذلك ان التمرد الذي يلقيه
كامو على كامل سيزيف ، اى الانسان الذي رمى به في خضم هذا
العالم الغريب ، انا هو تمرد يفوق طاقته واحتماله . ولذا " فان سيزيف
استاذ لفلسفة يستحيل تحقيقها . فاذا كان كاليجولا قد دفع بنظرته
الى حيز التطبيق ، فان سيزيف قد ظل حبيس نظرياته ولم يقو على
تجسيدها في الواقع " (1)

ب . التمرد الميتافيزيقي على المستوى الجماعي

يعتقد كامو بأن المتمرد هو من يقول : لا ، لانه يؤمن في قرارة
نفسه بأن هناك حدودا لا يجب تجاوزها ، كأن تداس الكرامة
الانسانية مثلا - وتبعا لذلك ، فاذا نحن قصرنا وجودنا على فكرة التمرد ،
فانه يصبح بإمكاننا القول ، حسب الصيغة الديكارتية المشهورة : " انا أتمرد
اذن انا موجود " - لكن كامو يرى ان هناك ألف مثال ومثال يجعلنا نشعر

(I) Nguyen Van Huy , La métaphysique du bonheur chez A.Camus , p 47 .

بأننا نقاسم الآخرين آلام الحياة وكابوس الموت ، ويرى أيضا بأن التمرد ليس وليد الضغوط التي يعاني منها الفرد بمعزل عن الآخرين ، بل أن هذا الفرد يدرك على التوأنه يستشف نفسه في ذوات الآخرين الذين يعيشون حذاءه . لهذا ، يرى كامو بأن التمرد قد صارت له ابعاد جديدة : " أنا أتمرد ، اذن نحن موجودون " (1)

وهذا الانتقال من "الانا" الى "نحن" (2) نجده مجسدا في رواية " الطاعون " La Peste - فبعد ان كان التمرد فرديا ، في غضون كاليجولا " و " سيزيف " ، يضحى هذا التمرد جماعيا .

فكل ابطال رواية " الطاعون " يتآزرون ويتكاتفون لدحر وباء الطاعون ، والطاعون همنا ، كما ادلى بذلك المؤلف نفسه لاحدى المجلات . هو رمز للنازية التي رأت ان تستبيح كل شئ من اجل بسط نفوذها وتوتها . وعلاوة عن ذلك ، فان هذه الرواية ، كما يرى بـ ، هـ سيمون " أعظم ما انتجه كامو ، فهي رواية غنية ، واضحة كثيرة القسوة ولكنها مليئة بالمروءة ، وفي هذه الرواية يظهر رأى كامو في العالم ، فسيزيف لم يعد يحسن بالعزلة ، انه يناضل مع اخوانه لرفع الصخرة ، والصخرة ولا ريب سوف تعاود السقوط ، وسوف لن تزول الآلام ، وسيظل شبح الموت مهمنا

(1) O.C , T.II , p 33. " Je me révolte , donc nous sommes .. " (I)

(2) " نحن موجودون " هذه تعبر عن قيمة التضامن التي تفبني على حركة التمرد . أما أنا أتمرد وحدها فهي تعبر عن تمزق الانسان المتمرد ، عن توتره الدائم وغذابه المتصل من المتناقضات التي يعيش فيها : " . د . عبد الغفار مكاوي ، كامو ، ص 142 .

وستظل هناك حروب وسوف تبقى الفئران تحمل " الطاعون " الى المدن
السعيدة ، غير ان الناس سيظلون يناضلون مما يعرفون فرح الانتصار...
وسيجدون ممما طال الوقت - طريقا الى السعادة يمر بالمحبة " (1)
ومع ذلك ، فان هذا الانتقال من " الانا " الى " نحن " بالكيفية
التي يرثيها كامولا تقف على أرضية منطقية صلبة بحيث نركن
الى ما يذهب اليه ، خاصة وأنه يزعم بأن : " في غضون التجربة
العشرية ، يكون الألم فرديا ، ولكن بمجرد ان تتجسس حركة التمرد ،
يدرك السوعي بأن هذا الألم جماعي ، لأن الألم هو مغامرة الجميع... " (2)
ثم اذا كانت تجربة اللا معقول تجربة نسبية ، اي أنها لا تعترى
الناس جميعا ، فكيف لي ان أحكم او يحكم المتمردين الميتافيزيقي على أن
الآخرين ايضا ثائرون على العالم - أليس هناك من يعتقد
بأن الامور على احسن ما يرام في اي عالم من العوالم الممكنة؟
من هنا اذن ، يمكننا القول بأن هذا الانتقال من " الانا "
الى " نحن " انتقال مفاجئ ومبالغ فيه .

(1) pierre Henri Simon , L'Homme en procès , p 190 .

(2) " Dans l'expérience absurde , la souffrance est individuelle. A partir du mouvement de révolte , elle a conscience d'être collective , elle est l'aventure de tous . " Ibid , p431-432 .

– التمرد وعلاقته بفكرة الجريمة –

تبيين لنا في الصفحات السابقة ان التمرد الكاموى ينطوى على بعدين أساسيين وهما البعد الفردى والبعد الجماعى – فالبعد الفردى، كما رأينا مجسد في "أسطورة سيزيف" و "كاليجولا"، في حين ان التمرد الجماعى يتخلل كتاب "الانسان المتمرد" و "الطاعون".

في الكتاب الذى يحمل عنوان "الانسان المتمرد" يواصل كامو البحث في مشكلة الانتحار التى بدأها في "أسطورة سيزيف" ولكنه هذه المرة، يعالجها بكيفية أخرى.

ففي "أسطورة سيزيف"، كان محور تفكير كامو هو الاجابة على السؤال التالى: "هل في مقدورى قتل نفسى، أى الاقدام على الانتحار، اذا كان العالم لا معقولا؟" وي طرح كامو اشكالية الانتحار باعتبار أن الانتحار من أهم القضايا في الفلسفة كما يدعى – أما السؤال الذى يطرحه كامو في "الانسان المتمرد" فيمكن صياغته على النحو التالى: هل بإمكانى ان اقتل الآخرين، انا الذى رفضت الانتحار؟ (1) وبعبارة أخرى، هل من الممكن ان يؤدى التمرد – الذى هو بطبيعته احتجاج على قدر ظالم الى تبرير الجريمة؟ (2)

(I) Paul Ginestier , pour connaître la pensée de Camus , p 36 .

(2) د . عبد الغفار مكاي ، مدرسة الحكمة ، ص 262 .

لكن ما نوعية هذه " الجريمة " التي يدور حولها كتاب " الانسان
المتورد ؟ انما الجريمة التي يفهمها كالمو بالجريمة المشروعة او الجريمة
المنطقية Crime logique ويقصد كالمو بالجريمة المنطقية - بمبارة
واحدة - الجريمة الايديولوجية ، ومعنى ذلك ايضا :
تلك الجريمة التي تجيزها الايديولوجيات قصد الوصول الى غاية
من الغايات -

هناك سؤال يستتبع الأول : من هم الناس الذين يجيزون
" الجريمة المنطقية " ؟ هل هم أناس أشرار ؟ هل هم أناس ينفون الهدم
من أجل الهدم فحسب ؟ كلا ، انهم أناس يدعون أنهم يحبون البشرية
قاطبة ، وكل ما في الامر أنهم شائرون على الفوضى التي تشوب هذا العالم ،
ومتوردون على الظلم المتفشى في المجتمع ، فبات لهم حينئذ :
" تغيير العالم " ، ولو كان ذلك يستلزم " الاساءة للآخرين " والتفكيك
بهم ، اى أنهم يسمعون الى تحقيق غاية سامية ، ولكن سعيهم ذلك
يجبرهم على اللجوء الى اساليب عنيفة ومختلفة : كالأسر والتفكيك (1)
وهذا التغيير الذي يريدون إقامته يكون باسم الثورة والبراكسيس الثورية (2)

(1) Eric werner , De la violence au totalitarisme , p46 .

(2) Ibid , p 46 .

وموقف كاموازا^١ الثوريين والثورات ، على اختلاف منابعها ومنازعها ، موقف تشاؤمي جدا ، فهو يرى بأن منذ ما يربو على قرنين حاول أناس ان يجسدوا الأمل الثوري ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل ، بل يرى أكثر من ذلك ، إنه يعتقد ان هذه الثورات قد ولدت الارهاب والطفيان .

وحجة كاموفي ذلك أن الثوار كلما وصلوا الى الحكم تحولوا الى طفلة منغطرسين (١) ومعنى ذلك ، بالنسبة الى كامو ، أن الثوار يحيدون عن التمرد الاصل الذي هو في جوهره احتجاج ذهني وروحي فحسب . كيف يفسر كامو هذا الفشل ، اذا نحن سلمنا بأن هناك فشلا ؟ يرى كامر بأن الثوار قاطبة يفشلون لأنهم يصبون الى تحقيق المستحيل ، والمستحيل ، في منظوره ، هو الرغبة في إقامة عدل مطلق ، او إن شئنا ، إقامة المدينة الفاضلة .

ويعلل ذلك أيضا على النحو التالي : كلما تحول التمرد الى عمل يعني تغيير الواقع يصبح ثورة ، والثورة هي "إدخال الفكرة في سياق التجربة التاريخية" (٢) ومعنى ذلك في رأيه ان التمرد سرعان ما ينتهي الى ضده ، وذلك عندما يتحول الى ثورة سياسية تسدعهم سلطة الدولة (٣)

(١) يصور كامو ذلك بقوله : "ان بروميتيوس قد تحول الى قيصر"

(٢) " ... l'insertion de l'idée dans l'expérience historique . "

O.C , T.II , p 515 .

(٣) د / فؤاد زكريا ، آراء نقدية في الثقافة والفكر ، ص 397 .

فاذا نجح التمرد ، إذن فهو آيل الى ان يتحول الى ثورة والثورة ،
في رأي كامو هي استبدال نظام اجتماعي بنظام آخر ، وكل نظام اجتماعي
هو بالضرورة نظام جائر وقمعي (1) . لذا يقول كامو بصريح القول :
كل ثوري سرعان ما يتحول الى طاغية (2) .

ويأخذ كامو على الثورة كونها تطبيقا غير سليم لمفاهيم التمرد ،
وهو تطبيق ينتهي في رأيه الى عكس الغاية الاصلية للتمرد ، اي الى
تقييد الحرية بدل توسيعها ، ويستطرد كامو بأن الثوار ينسبون
او يتناسون شيئا هاما وهو الحرية ، فالناس عنده أحرار ، اي أنهم
لا يرضون بأن تفرض عليهم انماط معينة من النظم الاجتماعية
بحجة انها الأليق أو انها القمينة بأن تجلب لهم السعادة المشتركة ،
وبعبارة أخرى ، يرى كامو بأن مصالح الناس تختلف وتتباين وفي أكثر
الاحايين تتناقض وتتناطح ، في حين أن العدل الذي يصبو اليه
الثوار لا يمكن ان يحقق إلا بازالة هذا التناقض وهذا التباين ، وهو أمر
في نظره - غير قابل للتحقيق .

وانطلاقا من هذه الاعتبارات ، يقدم لنا كامو الثوري على أنه
انسان متعطش للسلطة والقوة ، ينصب نفسه في خدمة التاريخ ،
في حين يقدم لنا المتمرّد على انه انسان مولع بالعدالة ، ينمضن
على خدمة العقل والاتزان

(1) pierre Henri Simon , L'Homme en procès , p 155 .

(2) " Tout révolutionnaire finit en oppresseur ." O.C , TII , p 565 .

ولكن يعطى ثقلا واعتبارا لمثل هذه النظرة، يذهب كامو الى ان
تمرد نيتشه - الذي كان ظاهرا في أوله، قد تحول الى "ارهاب
لاعقلاني = *Terreur irrationnelle* مجسد في النظام النازي الهدام - وبالمقابل،
يمر بأن تمرد ماركس ذاته يؤول هو الآخر الى ارهاب عقلاني
rationnelle مجسد في النظام الستاليني الذي يستبيح كل شيء من
أجل تحقيق غاياته . (1)

وعلى أساس هذا الفهم للشورة، وفي علاقتها بالتمرد الاصيل،
الذي هو في جوهره التمرد الميتافيزيقي، يحكم كامو على الشورات
السياسية التي عرفها الغرب في القرنين الآخرين - وعلى هذا
الاساس أيضا، ينظر كامو الى الشورة الفرنسية - التي أطاحت
بالمك - ينظر اليها على أنها قتل وقضا على الالهة والسلطة
الالهية - ومعنى ذلك أنه لا ينظر اليها على أنها "ثورة اجتماعية
وسياسية قامت بها جموع شعب مضطهد جائع للاستيلاء على
السلطة، وقرار حكم مبنى على قيم جديدة" (2)

وبعبارة أخرى، لا يكفي كامو بذلك في حكمه على الشورة
الفرنسية، ولا ينظر اليها الا من خلال هذه الصورة القاتمة،
التي هي رمز الجريمة - والجريمة عنده هي دليل على التطرف الذي
يصيب الإنسان عندما تتحول روح التمرد من حالة ذهنية الى ثورة سياسية . (3)

(1) pierre Henri Simon , l'Esprit et l'Histoire , p 131 .

(2) pol Gaillard , Camus , p 157 .

(3) فواد زكريا، أراء نقدية في الثقافة والفكر، ص 398 .

ورمز الجريمة عند كامو يتخذ أبعاداً أخرى، فهو يولي كل هذا الاهتمام للثورة الفرنسية، وعلى وجه التحديد: قتل الملك لويس السادس عشر، وبالتالي القضاء على السلطة الإلهية المجسدة فيه، لكون هذه الحادثة تعني، في جملة ما تعني - عدول الناس عن الدين وما ينطوي عليه من معاني الأزلية والأبدية - وهذا يعني، بالنسبة لكامو، إيداناً بعمد أو تحول جديد في الأفكار والعقليات، أن أصبح الناس يؤمنون بفكره الفعالية التاريخية أو البراكسيس الثورية، أي أنهم ينصبون أنفسهم جنوداً لتحقيق غاياتهم الثورية، ووضحوا بذلك لا يؤمنون إلا بفكرة أو سلطة التاريخ Historisme "ففي العصور الدينية يسود معنى الأزلية Eternité، ويتضال معنى التاريخ. لذا فإن قتل الملك - الذي هو رمز السلطة الإلهية، إنما هو القضاء على فكرة الأزلية وإحلال فكرة التاريخ والتاريخية محلها". (1)، بحيث يصبح التاريخ فكرة مطلقة يسعى الناس من أجل صنعها، مستبحين من أجل ذلك كل شيء، كما يدعي كامو. واختيار الناس للتاريخ، يعني في المنظومة الفكرية الكاموية التخلي عن أصول التمرد الحقيقي، إذ يرى أن محاولة "تغيير العالم" هو تبني المدمية الأخلاقية ويفسر كامو ذلك على النحو التالي:

(1) د / فؤاد زكريا، آراء نقدية، ص 399.

لما كانت فكرة الازلية سائدة ، كان كل شئ " يخضع لقواعد
حتمية وقيم اخلاقية لا يحيد الناس عنها ، في حين انه في ظل سيادة
فكرة التاريخ ، اى الثورة كعملية "تحاول اعادة تشكيل العالم داخل
الطار نظرى جديد " ، يصبح الفعل الثورى هدفا بلا قواعد ولا مبادئ أخلاقية .
ومعنى هذا أيضا ، أنه اذا كان " الاله قد مات " ، فالانسان
يصبح هو الواحد ، وحيدا مع قوته كما يرى ستيرنر Stirner
وبالتالى يسعى لأن يضاهي الاله ، فيصنع التاريخ كما يحلولة .
ومطلق التاريخ Historisme او سلطة التاريخ ، حسب كامو ،
قد اتخذت شكلين ، أدى كل منهما الى نوع خاص من الجريمة -
فالتاريخ عند كامو ، اما أن ينظر اليه على انه قوة عاقلة أو على أنه
قوة غير عاقلة -
ففي الحالة الأولى ، أدى التاريخ الى الثورة الشيوعية .
اما في الحالة الثانية ، فقد أدى طغيان التاريخ كفكرة الى النازية
ومن هنا كانت النازية في نظر مفكرنا ، هي التاريخ في صورته الخالصة
اى فعل محض لا عقل ولا غاية له . (I).

(1) د . فؤاد زكريا ، آراء نقدية ، (ص 399 .

ويمكننا ان نلاحظ هنا أن كامو يسوّى بين الحالتين دون أن يقيم وزنا للفروق الأساسية التي تنطوي عليها الحالتان ، وحجته في ذلك أننا في كلتا الحالتين نقع في قبضة الارهاب والقمع بمختلف أشكاله .

العدول عن الثورة باسم الاعتدال او فلسفة الحدود .

تبين لنا من كل ما سبق أن كامو يشجب التاريخ اى العمل الثورى ، والثورة بحجة مفادها أن الثورة ، في كل حالاتها ، تؤدى الى الارهاب ، وبالتالي الى اقتراف الجريمة .

فكيف العمل إذن ؟ بعبارة أخرى ، ما الموقف الذى يليق بنا اتخاذه لزاء الثورة ؟ إنه التمرد دائما ، ولكن التمرد ههنا يعنى عند كامو الاحتجاج الذهنى فحسب على مظاهر الظلم في العالم والمجتمع - والتمرد الكاموى ، بهذا الاعتبار يعنى الاحجام عن كل عمل من شأنه أن يجسد تغييرا ما في العالم - اما الثورة - التي هي امتداد منطقي لفكرة التمرد ، تعني بالنسبة لكامو ، خيانة لاصول التمرد الحقيقية . ولما كانت الثورة تستلزم في أغلب الاحايين استعمال العنف ، يرى كامو بأن "القيمة الايجابية التي تنطوي عليها حركة التمرد الأولى تقتضى التخلو عن العنف كمبدأ ، وتؤدى بالتالى الى استحالة توطيد ثورة ما ... " (1)

(I) " La valeur positive contenue dans le premier mouvement de révolte suppose le renoncement à la violence de principe . Elle entraîne , par conséquent, l'impossibilité de stabiliser une révolution . " O.C , T.II , p 690 .

ومن هنا ، فان التمرد الحقيقي لدى كامو هو ما يدعوه بالتمرد

الذي " يحترم الحدود " ، اذ يقول بأن هذا التمرد لا يجب - بأيّة

حال من الاحوال - أن يؤدي بعياة الناس او المساس بكرامتهم . (1)

ونلاحظ أن كامو ما زال يجتر فكرة الجريمة التي يراها ملازمة

لكل الثورات ، وهو يرى أيضا ان الحرية القصوى ، أي حرية

القتل تتنافى وروح التمرد الاصيل ، فالتمرد لا يعنى عنده المطالبة

بالحرية ، بل العكس هو الصحيح ، أي أن التمرد هو بمثابة

محاكمة هذه الحرية المطلقة . (2)

وفي خاتمة المطاف ، نفهم ان التمرد الكاموي مقرون بفكرة

الاعتدال وفلسفة احترام الحدود ، التي يعرفها كما يلي : " لو كان

للتمرد أن يشيد فلسفة ، لكانت هذه الفلسفة هي فلسفة الحدود

والجعل المحسوب . فمن لا يعرف كل شيء لا يجب أن يقتل كل شيء " (3)

(1) لقد صور كامو ذلك في مسرحية " العادلون " Les Justes ، عندما جعل

بعض الثوار الروس يحجمون على اغتيال القيصر لا شيء الا لأن هذا

الأخير كان برفقة اولاده الصغار .

(2) O.C , T.II , p 691 .

(3) " Si la révolte pouvait fonder une philosophie , ce serait une philosophie des limites , de l'ignorance calculée ... Celui qui ne peut tout savoir ne peut tout tuer ... " O.C , T.II , p 693 .

خلاصة ونقد

نستنتج من كل ما سبق ان التمرد في المنظومة الفلسفية الكاموية هو عبارة عن احتجاج ذهني غامض ، وانه ليس بفعل حركي كما قد يتبادر الى الازهان ، لأن التمرد ، في جوهره فعل عنيف ، كثيرا ما يكون له ارتكاس محسوس على الواقع ، كأن يتجلى في تمرد عسكري أو كأن يتمرد أناس على نظام سياسي جائر ، فيخرجون الى الشوارع ليحرقوا عن سخطهم وتدمرهم .

وهذا من شأنه أن يبيح لنا القول بأن التمرد ، كما يراه كامو ، تمرد من الصعب بمكان تصوره واستساغته . وانما لمفارقة حقيقية حين يقرن كامو التمرد بفكرة الاعتدال . (1) فالتمرد كما اسلفنا فعل "ولا يمكن أن يفهم إلا على أنه فعل ، والا كان ضربا من النية السلبية " . (2)

وتصور التمرد على أنه موقف ذهني فحسب لا يسمو الى أن يكون تمردا بأي شكل من الأشكال ، ما لم يدخل في سياق التجربة الحية .

(1) pierre Henri Simon , L'Esprit et l'Histoire , p 165 .

(2) Gabriel Marcel , L'Homme révolté , in la Table Ronde , Fev-1960, p 81 .

ويقول جبريل مارسيل G.Marcel : "ولقد رأينا بأن التمرد لا يمكن أن يظل حبيس النية والارادة الضعيفتين . ان التمرد عكس ذلك تماما ان التمرد هو بمثابة غزو للوجود . وهذا الغزو لا يمكن أن يتم الا بواسطة العنف". (1)

كما أن اقتران فكرة التمرد بفكرة الاعتدال انما هو في واقع الأمر قضاء على التمرد نفسه كما يرى جون جاك بروشي J.J. Brochier (2) ثم انه لمن السذاجة ان نقرن التمرد بفكرة الطهارة التي يشتم منها عدم اللجوء الى العنف، لهذا فاذا كنا بصدد الحديث عن التمرد فانه لا ينبغي علينا ذكر او اقام فكرة الطهارة ... ثم ماذا تعني هذه الطهارة معنا ؟ ان تحديد ما لا يمكن ان يكون الا نوعا من السلب أو نوعا من القصور عن العمل ... (3)

ومن جهة أخرى ، اننا نلغي كامو يضع تقابلا بين التمرد والثورة ، وكأن الثورة ليست امتدادا منطقيا للتمرد ، كما اسلفنا . غير أنه لا يجب علينا أن نستغرب لمثل هذا الأمر مادام كامو قد عقد الممنوع

(1) Gabriel Marcel , op. cité , p 84 .

(2) " sous couvert de décrire la révolte , c'est à dire l'attitude la plus juste et la plus estimable , Camus tourne une salade métaphysico-littéraire où tout est mélangé, et où finalement c'est la révolte qui est sacrifiée .." Jean Jacques Brochier , Camus , p 17 .

(3) Gabriel Marcel , op. cité , p 83 .

على اعتبار الثورة تطبيقا غير سليم لمفاهيم التمرد التي يسميها : الطهارة ،
الاعتدال او فلسفة الحدود .

هذا ونأخذ عليه اعتقاده الراسخ بأن " الفكرة " تتعفن كلما دخلت
في سياق التجربة التاريخية ، أي عندما تصبح هذه الفكرة عملا
مجسدا في الواقع المحسوس .

وخلاصة القول أن التمرد الكاموي لا يمكن أن يعتد به لأنه
" مجرد حركة عابثية تفتقر الى الفعالية ، لذلك فان التمرد أقل
مرتبة من الثورة ، ولكي تتحقق الثورة ، يجب دفع الثمن اللازم (1)
ويمكن ان ننهي هذا الفصل قائلين بأنها لمفارقة كبيرة أن يضع
كامو التمرد كمقولة جوعرية للانسان الواعي وان يطلب من هذا
الأخير - في الوقت نفسه - توخي الاعتدال والاحجام عن كل
فعالية من شأنها أن تغير من وجه العالم .

(I) Jean paul Sartre , Situations IV , p 54.

الفصل الرابع

الثورة الجزائرية في منظور فلسفة كامو

حاولنا في الفصول الأولى من هذا البحث تحليل ما يمكن أن نصلح على تسميته بـ "فلسفة كامو"، مستدين في ذلك إلى إنتاجه الفكري والأدبي . وقد تبين لنا أن هذه الفلسفة تتمحور حول مفهومين أساسيين هما :

- اللا معقول

- التمرد

ولقد مكننا هذا التحليل من معاينة كنه اللا معقول والتعرف على بعض أوجهه وتجلياته، كما أدركنا خصائص التمرد الذي ارتآه كامو حول هذا اللا معقول، وهذا التمرد يتم بعد رفض الانتحار الجسدي والفلسفي معا . ولقد انتمى بنا هذا التحليل أيضا إلى نتيجة نخالها أساسية، مفادها أن ليس ثمة تمردا بالمعنى المتداول، أي فعل يستلزم اللجوء إلى استعمال العنف كرد فعل على وضع هو نفسه يتسم بالعنف.

وتبين لنا في خاتمة المطاف أن التمرد في نظر كامو هو عبارة عن موقف ذهني محض وميتافيزيقي بالدرجة الأولى، أي أن هذا التمرد هو بمثابة صرخة ضد مظاهر الألم والموت في الوجود .

هذا وقد تبين لنا أيضا أن كامو يعارض جبرا كل الثورات التي عرفها التاريخ ، بحجة أن الثورة أيا كانت هي عبارة عن تطبيق غير سليم لمفاهيم التمرد الحقيقي والتي تتمثل أساسا في الاحجام عن استعمال العنف ، باسم احترام الحدود .

وعلى إثر هذا الحليل ، ارتأينا ان نعقد فصلا نعالج فيه مواقف كامو من الثورة الجزائرية ، وذلك قصد معرفة الى أي مدى تصدر مواقفه تلك من آرائه الفلسفية التي ضمنها كتابه "الانسان المتمرّد" ، وبالا ستاد الى مقالاته الصحفية التي كتبها قبل وaban اندلاع الثورة الجزائرية .

بيد أننا قبل أن نخرج على ذلك ، نرى من اللائق البحث عن المكانة التي تحتلها الجزائر في أعماله الادبية ، ذلك انه يحلو لكامل الزعم بأن الجزائر هي وطنه الحقيقي ، وهذا أيضا من شأنه أن يقودنا الى معرفة مدى الاهمية التي يوليها للانسان الجزائري والمنزلة التي يخصصه بها ، فهو يشعر بأنه اقرب الى راح عرسى منه الى تاجر فرنسي . (1)

(I) "Je me sens plus près d'un berger arabe que d'un boutiquier français ."

Aimé Bupuy , l'Algérie dans les lettres d'expression française, Editions Universitaires , Paris , 1956 , p 60 .

أ - الجزائر في أعمال كامو الأدبية .

يقول كامو: " بإمكانني أن أقول بأن الجزائر هي وطني الحقيقي ، وأنه بإمكانني أن أتعرفه في أي مكان من العالم على أبنائها وعلى إخواني لمجرد ضحكة ودية طالما كانت تعتريني أمامهم . نعم إن الذي أحبه في المدن الجزائرية لا ينفصل عني حتى للناس الذين يقطنونها . " (1)

هل صحيح أن كامو كان يحب الجزائر بالفعل ؟ وهل هي وطنه الحقيقي ؟ هل يمكن أن نصدق القول حين يدعي أن حبه للجزائر يساوي حبه للجزائريين ؟ ولكي نرد ، سلباً أو إيجاباً ، على هذه الأسئلة ، فلا مندوحة لنا من الرجوع إلى مؤلفاته الأدبية التي تعيننا في هذا المقام .

لأننا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا بأن الجزائر تحتل مكانة مرموقة في إبداع كامو الأدبي ، ذلك أن هذا الأخير قد جعل

(I) " Mais je puis dire au moins qu'elle (l'Algérie) est ma vraie patrie et qu'en n'importe quel lieu du monde , je reconnais ses fils et mes frères à ce rire d'amitié qui me prend devant eux . oui , ce que j'aime dans les villes algériennes ne se sépare pas des hommes qui les peuplent . " O.C , T . I , p 850 .

من الجزائر الحارة جغرافيا لجل مؤلفاته من روايات وقصص قصيرة، كيف لا يكون الامر كذلك، والجزائر مسقط رأسه ومركزه شبابيه. ولكن الشيء الذي يلفت الانتباه، هو أن كامو نال مبعورا بجمال الجزائر وحدها، ولم يبال بأهلها وسكانها، وهذا ما يستشفه القارئ لكتبه، ومن هنا: الأمر الذي أدى بأحد الباحثين الى القول بأن لا مبالاة مورسولت Meursault بطل رواية الغريب l'Etranger إنما هي لا مبالاة كامو نفسه في علاقاته بالسكان الأتلي indigènes بل يعتقد هذا الناقد ان هذه اللا مبالاة هي ترجمة لقصور كامو على تجاوز منظر ذوى "الاقدام أو الارجل السوداء" "pieds-noirs" كما ان الصورة التي يرسمها عن البطل إنما هي الصورة المثلى للانسان المستعمر. (1)

هذا ويرى باحث آخر بأنه كان الاجدر بكامو أن يسمي روايته هذه بـ "فرنسي من الجزائر" بدلا من "الغريب" وذلك لكونها تعبيرا صريحا لواقع تاريخي بذاته. ويرى في نفس السياق أن قتل الجزائري في غضون الرواية من قبل بطل القصة تعبير عن العدوانية

(I) Conor Cruise O'Brien , Camus , p 35 .

الساكنة في قلب كل فرنسي من فرنسي الجزائر . (1)

وما يمكن من أمره، فإنه من الممكن القول بأن الإنسان الجزائري غائب في أدب كامو، لأنه يظهر فيه بدون اسم وبدون وجه، أنه كالآخر يعيش على الدامش، مكتوف الأيدي . وهذا أن دل على شيء فلأنما يدل على "استفحال واقع استعماري يتمثل في غفیان اقلية اجنبية على اغلبيية السكان الأصليين" . (2)

والجزائر التي يحلو لكامو أن يقول عنها إنما "علمته شقاء" الإنسان وقد أضوا العالم "يبدو أنما لم تعلمه شقاء" الإنسان الجزائري . اللهم إلا إذا كان كامولا يعتبر الجزائري إنسانا على غرار كل الناس. فمولا يفتأ يتغنى بالطبيعة الجميلة فحسب فكل ما تعلمه كامو منها يكاد يلخصه في هذا القول :

"حقا أنني اعتقد أن هناك كثيرا من الأسباب تجعلني أفخر بالحياة : الشمس والبحر وقلبي الدافئ بالشباب وجسمي القوي

(1) pierre Nora cité par Bernard pingaud , l'Etranger de Camus , P 14 .

(2) Conor Cruise o'brien , Camus , p47 .

ثم هذا المنظر الرائع حيث النعومة والمجد يختلطان باللونين الأزرق والأصفر، وعمتي في ذلك هي استخدام كل ما لدى من قوة وحيوية لاكتساب ذلك كله". (1)

ومن هذا كله، يتبادر الى اذهاننا بكل وضوح أن كامو يوقف حبه كله على الجزائر كطبيعة خلابة وشمس ساطعة على الدوام. ومعنى هذا أيضا أنه يجرد الجزائر من محتواها الانساني ويضرب صفحا عن سكانها الاصليين والشرعيين. أيليق بنا، بعد هذا كله القول بأننا "نحب وطننا ما حين نضع آهاليه بين قوسين ولا نحفل الا بالبحر والشمس". (2)

ان ظاهرة تعلّق الفرنسيين بالجزائر، باعتبارها مسقط رأسهم، ليست موقوفة على كامو وحده، بل هي ظاهرة تصدق على المدرسة الادبية التي تعرف بـ "مدرسة الجزائر" Ecole d'Alger

(1) "Si, il y a de quoi: ce soleil, cette mer, mon coeur bondissant de jeunesse, mon corps au goût de sel et l'immense décor où la tendresse et la gloire de rencontrent dans le jaune et le bleu. C'est à conquérir cela qu'il me faut appliquer ma force et mes ressources." O.C, T.I, 58.

(2) A.T.Ibrahimi, Camus vu par un algérien, p 183.

والتي تضم في كنفها جل الكتاب الفرنسيين الذين ولدوا في
الجزائر. (1) وجل مؤلفات هؤلاء الكتاب تعكف على تصوير
شفهم بالجزائريون آماليما . فاني بحثت، تجد سحر الطبيعة
قد أخذ بلبهم وعواطفهم . وفي كل صفحة تلفي تأليها
لكل ما هو جميل أخاذ . وما كتاب "أعراس" Noces لكامو الا تعبير
عن عرس الانسان واقتترانه بهذه الطبيعة الخلابة . (2)
إن غياب العنصر البشري الجزائري في مؤلفات كامو غياب
مبيت في نظرنا ذلك أن وجود هذا العنصر البشري وجود يزعج
راحة ذوي " الاقدام السوداء " وهو أمر شتمه من خلال ما الهمتنا لاداع
كامو . فلهذه نماذج نورد ما همنا لدعم ما نذهب اليه :
في قصة قصيرة تحمل عنوان : " المرأة الخائنة " femme adultère
يفتاض بطل هذه القصة ، وهو فرنسي من الجزائر ، لا شيء الا لأن
أحد " العرب " قد مر عليه دون أن يلتفت إليه ، فيقول : " انهم
يعتقدون ان كل شيء مباح الآن " (3) وبعد برهة من الزمن ، يضيف

(1) G.Merad , La littérature Algerienne d'expression française , p 30 .

(2) Ibid , p 39 .

(3) O.C , p 1566 .

وجهها الحديث التي زوجته: "عجبا! انظري التي
هذا الذي يعتقد انه جنرال...! أما كاموكراره، فيقول مؤكدا:
"نعم، نعم (أي العرب) يظلمون على انفسهم هذه الحالة
من الكبرياء..." (1)

- وفي مؤلفاته "أعراس" Noces يقول كامو واصفا منظرا
من مناظر البحر في الجزائر، يقول منتقدا الجزائريين الموجودين
هناك: "... هؤلاء المتوحشون المتمددون على الشاطئ..." (2)
- ودائما، في "أعراس" يرى كامو بأن الجزائريين لا يقيمون
وزنا للفكر، فهم في نظره أناس يمزجهم الذكاء... (3)
كان هذا دأب كامو الكتاب الذين اقتفروا أثره. لقد
تجاهلوا في مؤلفاتهم وجود الجزائريين. وقد كانت الجزائر بالنسبة
للاغلبية منهم تمثل ذلك الجزر الصغير من البحر الأبيض المتوسط المسخر
للاستجمام والاعراس على شاطئ البحر، ويحدث ذلك كله وسط سكان
يحلولهم العيش تحت الشمس..." (4)

(1) Ibid , T.I , p 1566 .

(2) "...ces barbares qui se prélassent sur la plage ..." O.C,T.I , 74 .

(3) "Ici ,l'intelligence n'a pas de place comme en Italie. Cette race est indifférente
à l'esprit ..." Ibid , p 74 .

(4) Mustapha Lacheraf , l'Avenir de la Culture Algérienne , in les Temps Modernes ,
n° 209 , octobre 1963 , p 731 .

ومع ذلك فان هناك من ذهب الى إدراج أدب كامو ضمن الأدب الجزائري . وقد ترجم له عثمان سعدي قطعة أدبية تحت هذا العنوان نفسه ، أي "الأدب الجزائري" (1) وهو أمر نخاله مبالغا فيه ، إذ نرى ان تسمية "مدرسة الجزائر" أخرى واسلم باحتضان أدب كامو ، كما نعتقد ان "إدراج أدب البير كامو في نطاق الأدب الجزائري مخالطة لا يبررها كونه ولد في الجزائر وأنه يستثمر الحنين الى روعهما .." (2) فمل يكفي لأحد أن يكتب عن الجزائر ليكون جزائريا ؟ ! فكامو يبدو كمن يحاول ان يجرد هذه الجزائر من روحها الحقيقية ومن رائحة الانسان العربي البربري الذي يدب عليهما ويكدح ، لأن هذا الانسان يحمل وجها غير الوجه الاوربي وطابعا غير الطابع الذي يريده له الاستعمار. (3)

وفي هذا السياق ، يرى الكاتب الجزائري محمد ديب أن "هذا الحدث البسيط الذي يتمثل في كون بعض الكتاب قد

(1) عثمان سعدي ، مجلة الآداب ، عدد 11 ، نوفمبر 1955 ، ص 67 .

(2) د / علي سعدي ، حول الكاموية ، مجلة الآداب ، عدد 12 ،

ديسمبر 1955 ص 63 .

(3) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

جعلوا من شمال افريقيا اطارا لأعمالهم ، لا يكفي وحده لخلق مدرسة أدبية ، لانه يعوزها ما هو أساسي ، ونقصد به الاهتمامات والتوجيهات المشتركة... (1)

وهذا من شأنه ان يبيح لنا القول بأن كامو سخر جل مؤلفاته الأدبية لتمجيد جمال الجزائر فحسب ، ولم يقم كبير وزن للجزائريين وما عانوه من اجحاف وضيم من قبل النظام الاستعماري آنذاك ، فكل ما تعلّمه كامو من الجزائر انما هو " التمتع عاجلا بالحياة ، كما قادته الى نوع من الشموانية ... " (2) ، فهو يقول في " أعراس : هناك كثير من الأشياء تجعلني افخر بالحياة : الشرب والبحر وقلبي الطافح بالشباب... " (3)

ومن كل ما سبق ، يمكننا القول بأن كامو تغنى " بـ جزائري " كما تغنى بجمال طبيعتهما وسحر ربيعهما ، ولكن لم يسم بحبه الى ادراك مشاكلهما وهمومهما ، وبالتالي لم يجب أبناءهما

(I) Mohamed Dib , interview aux Nouvelles Littéraires , octobre 1953 , p 4

(2) جورج جوايو ، كامو والثورة الجزائرية ، مجلة الثقافة ، ع 5 ، نوفمبر 1971 ، ص 47 .

(3) O.C , T.I , p 58 .

كما كان يزعم ، فهم غياب في أدبه ، لا يكاد أحدهم ينسب
ببنت شفة . يمكننا ان نقول أن عالم كامو الأدبي هو بالتأكيد
عالم استعماري نلفي فيه أقلية د خيلة مهيمنة تنعم برونس
الجزائر وخيراتهما التي لا تعرف الفساد ، ونلفي فيه ، بالمقابل ،
اغلبية تتضور من الحرمان وتئن من الضيم والطفيان .

ب - كامو ومواقفه السياسية ازاء ثورة الجزائر التحريرية .

حاولنا فيما سبق التعرف على المكانة التي تحتلها الجزائر في أعمال كامو الادبية بصفة خاصة ، وانتمينا السوي أن الجزائر لا تعد وأن تكون اطارا جغرافيا لهذه الأعمال ، وبعبارة أخرى ، تقول ان كامو اكتفى بالتفنى بجمال الجزائر وطبيعتها الخلابة ، ناسيا أو متناسيا ان "الجزائر ليست أنوارا ساطعة فحسب، بل هي أيضا وقبل كل شيء قوم من رجال يملكون القدرة على الاحساس والتفكير والعمل ... " (1)

أما الآن ، فسنحاول تحليل مواقف كامو السياسية ازاء مشاكل للجزائر قبل وابان الثورة التحريرية ، وسينصب هذا التحليل على المقالات السياسية والصحفية التي كتبها في فترات متلاحقة ، وهي المقالات التي خصها كامو للاحداث السياسية التي كانت الجزائر مسرحا لها .

كما أننا سنعمد الى الاحاديث التي تمت بين كامو وشخصيات أخرى والتي تتعلق أساسا بقضايا الجزائر آنذاك .

(I) A.T. Ibrahimi , Lettre ouverte à Albert Camus , in Lettres de prison , p 48 .

يمكن القول بـ"أدى" ذي بدء، أن المتمعن في مقالات كامو السياسية، يمكنه أن يظبط فيها ثلاث لحظات أساسية، وهي لحظات خليقة بأن نجعل منها منطلقا للتحليل الذي ننوئ تسليطه على كتابات كامو السياسية، وهذه اللحظات يمكن تعدادها على النحو التالي :

- سنة 1939، وهي السنة التي كتب فيها تحقيقه المشهور حول الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه منطقة القبائل الكبرى، وقد نشر هذا التحقيق تباعا في جريدة "Alger républicain"

- سنة 1956، أي بعد اندلاع الحرب التحريرية بسنتين، يوجه كامو "نداء" من راجل مدنة مدنية "Appel pour une trêve civile" وفيه يدعو الجانبين المتحاربين، أي الجيش الفرنسي، وجيش جبهة التحرير الوطني إلى تحاشي إيذاء المدنيين.
- سنة 1958، في هذه السنة، يقترح كامو "حلا" لما كان يسمى آنذاك بـ "مشكل الجزائر أو أزمة الجزائر"، وهو الحل الفيدرالي، أي وجوب تعايش الجاليبتين الجزائرية والفرنسية، تعايشا، يضمن لكل واحدة منهما حقوقا ومشاركة في النظام السياسي.

1 - قبل اندلاع ثورة الجزائر التحريرية .

في سنة 1939، كما أسلفنا، قام كامو بتحقيق حول
الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في منطقة القبائل الكبرى،
ونشره في حلقات متتالية في جريدة "Alger-Républicain" و عنوان
كامو تحقيقه هذا بـ "الفقر في القبائل" "Misère de Kabylie"
وفي هذا التحقيق الجريء، حاول كامو ان يوقف عند
الفروق الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين الجالية المقيمة
والأهالي الاصليين، الأمر الذي جرّه الى ان يقول :
"لاني مجبر على الاعتراف بأن أوضاع العمل في القبائل
إنما هي بمثابة أوضاع الرق ... وانى لأجد العشر فقط من الاطفال
ذوي السن المدرسية يستطيعون ان يتمتعوا بفرض التعليم ...
بل انى أشعر بأن المدارس القليلة الجميلة الواسعة في هذه
الناحية كانت قد بنيت خاصة للسواح ولجان المراقبة ..."(1)

(I) "... Je suis forcé de dire ici que le régime du travail en Kabylie est un régime d'esclavage... Un dixième seulement des enfants kabyles en âge de fréquenter l'école peuvent bénéficier de cet enseignement... Mais j'ai l'impression que ces écoles sont faites pour les touristes et les commissions d'enquêtes ..."

O.C, T.II , PP 915 - 919 .

وأثناء تجواله عبر منطقة القبائل الكبرى ، أدرك كامو مدى الحرمان الذي يعاني منه السكان حتى ان جلهم اضطروا الى النزوح الى الخارج طلبا للعمل من أجل البقاء . وعلى اثر الاستجابات التي اجراها مع السكان ، انتهى الى ان الحالة الاجتماعية والاقتصادية لا تطاق ، وأن الفقر الذي يعاني منه الأهالي هو فقر مريع " Cette affreuse misère " (1) ، ولقد عيى قوله هذا ، يسرد كامو الحادثة التالية :

" ... ذات صباح ، شاعدت بتيزي وزو اطفالا يرتدون أسمالا بالية ينافسون بعض الكلاب في محتوى سلة القاذورات " (2) ولقد اعتبر هذا التحقيق ، وبحق ، صفة للوجود الاستعماري في ذلك الوقت ، مما جعل بعض المفكرين يباركون هذه البادرة الشجاعة من كامو ، الى درجة ان أحدهم ، وهو جول روا "Jules Roy" كتب يقول : "لني مدين كامو لكوني أدركت ان للمغرب ارواحا وأنهم متعطشون مثلي للعدالة والكرامة " (3)

(1) O.C , T II , 907 .

(2) "par un petit matin , j'ai vu à Tizi-Ouzou des enfants en loques disputer chiens kabyles le contenu d'une poubelle ..." O.C , T II , P 907 .

(3) Cité par Mourad Bourboune , pour en finir avec Camus , 32 .

ويمكن القول بأن هذا التحقيق كان بمثابة المحاولة الأولى من كامولفيم أوضاع الجزائريين وتردى حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، وهذا علاوة عن كونه من الأوائل الذين سموا إلى شجب مثل هذه الأوضاع. ويقول جول روى Jules Roy في هذا المعنى: "لقد كان كامو أول من شجب الظلم الاستعماري المسلط على الجزائريين" (1). وفي نفس السياق، يرى أحمد طالع إبراهيم أن تحقيق كامو حول الفقر في القبائل هو خطوة منه لفهم الإنسان الجزائري بدل الاكتفاء بالتغني بجمال الجزائر.

لقد كان الأمر كذلك بالفعل، إذ يضع كامو يده، لأول مرة، على الفروق الأساسية التي يقوم على افرازها النظام الاستعماري على المستوى السياسي والاقتصادي، بل لقد مكّنه نظرة الثاقب من النفاذ إلى حقيقة الاستعمار، فهذا الأخير لا يقتصر على فرض قهر اقتصادي وسياسي فحسب، بل يتعداه إلى فرض قهر ثقافي، يتمثل في مسح شخصية السكان الأصليين. لذا فهو يرى أن ما يمكن أن يبرر الوجود الاستعماري في الجزائر هو:

(1) Jules Roy , La tragédie algérienne , p 201 .

"...مدى مساعدته للشعوب المستعمرة على الحفاظ على شخصيتها"⁽¹⁾
بل هو يذهب الى ابعد من ذلك، إذ يفند مزاعم أولئك
الذين يرون أن الاستعمار حل بالجزائر "ليحضروهم
عؤلاً العرب المتوحشين":

"الحقيقة هي أننا نحاذى دائما شعبا يعيش ثلاثة قرون
من التأخر، وأننا الوحيدون العاجزون على استشفاف مثل
هذا التأخر المائل..."⁽²⁾

ومن كل ماسبق، يتضح لنا أن كامو كان جريئا وجسورا
حقا في سرده لوقائع الفقر بمنظمة القبائل الكبرى، فلقد
كتب تحقيقه بأسلوب صريح لا يعرف اللين، ولقد فعل
ذلك دون أن يعبأ بما يمكن أن يجلب له ذلك التحقيق
من مضايقات.

ولعل من نافلة القول التأكيد أن هذا التحقيق قد جر عليه ما كان
متوقعا وهو النفي، فلقد نفي إثر ذلك الى باريس من لسان
السلطات الحاكمة تحت تأثير غلاة الاستعمار.

(1) "Si la conquête coloniale pouvait jamais trouver une excuse, c'est dans la mesure où elle aide les peuples conquis à garder leur personnalité ..." O.C, TII, p 938.

(2) " La vérité ,c'est que nous côtoyons tous les jours un peuple qui vit avec trois siècles de retard et nous sommes les seuls à être insensibles à ce prodigieux retard ..." Ibid , p 914 .

2 - مواقف كامو إبان الثورة التحريرية .

لا يليق بنا ننقل من سنة 1936 الى سنة 1956 دون ان نخرج قليلا على الفترة التي تمتد بين هاتين السنتين ، ذلك أن كامو ظل في هذه الحقبة ينتقد السياسة الاستعمارية من خلال مقالاته الصحفية . هذا ويمكن القول أن كاتبنا لم يلد بالسمت في أعقاب حوادث ماي 1945 الدموية ، التي أودت بحياة مايريو على 40000 نسمة من الجزائريين الابرياء ، الذين خرجوا ليحرقوا عن تدميرهم من النظام الاستعماري . فبلهجنة لايعترها الفتور ولا تخونها المراحة ، كتب كامو مقالا صحفيا يشجب فيه السياسة الاستعمارية التي لم تعد تقيم وزنا للاعتبارات الانسانية ، وتستبيح ما ياباه لوازع الانساني :

"ان جزائر 1945 غارقة في أزمة اقتصادية وسياسية طالما عرفت في سالف الازمان ، ولكن لم يسبق لها أن عرفت هذه الدرجة من الحدة ، ففي هذا الوطن الرائع الذي يكتنفه ربيع لا مثيل له ، بورود ووضوءه ، هناك أناس يعانون

من الجوع ويطالبون بالعدالة . ان الأمم لا يمكن ان تتركنا
مكوفين الايدي ، لانه سبق لنا أن عانىنا من هذه الآلام .⁽¹⁾
مكذا كان دأب كامو في نقده للسياسة الاستعمارية في
الجزائر . فعلاوة عن كونه ظل ينتقد مظاهر الاستعمار آنذاك ،
فانه لم يتردد أيضا في نقد فرنسا التي لم تف بوعودها لآزاء
الجزائريين خاصة فيما يتصل بفكرة أو سياسة الإدماج وضمان نفس
الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون .
ولعل هذا ما يجعلنا نعتقد بأن كامو كان جريئاً بالفعل
وصريحاً في نقده للسياسة الاستعمارية ، كما ثمان بحق من الأوائل
الذين تجاسروا على شجب هذه السياسة والجور بالحقيقة العنصرية ،
كالتنديد بالمجازر التي اقترفتها الاستعمار أثناء غزوه للجزائر .⁽²⁾
بيد أن الشيء الذي لا يجب أن يغيب عن أذهاننا ، هو
أن نقد كامو للسياسة الفرنسية لم يعد أن يكون نقداً لمظاهر الاستعمار

(1) " l'Algérie de 1945 est plongée dans une crise économique et politique qu'elle a toujours connue , mais qui n'avait jamais atteint ce degré d'acuité. Dans cet admirable pays qu'un printemps sans égal couvre en ce moment de ses fleurs et de sa lumière, des hommes souffrent de faim et demandent la justice . Ce sont des souffrances qui ne peuvent nous laisser indifférents, puisque nous les avons connues." O.C , T II , p 943 .

(2) A.T.Ibrahimi , Camus vu par un algérien , p166 .

وليس الاستعمار في حد ذاته ، ومعنى ذلك ان نظريته كانت
قاصرة ، فحولا ينقد الاستعمار كمبدأ وفكرة خبيثة
تحاول فرنسا من خلاله أن تثبت سيادتها على الجزائر.
وبعبارة أخرى ، كان كامو ينقد الفرع ولا ينقد الأهل . (1)
وباندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر ، يكون كامو قد كتب
جل مؤلفاته . ففي سنة 1950 ، يكتب كامو مسرحية "العادلون"
"Les Justes" التي استوحى محتواها من نشاط الثوار الروسيين
ضد الحكم القيصري سنة 1905 . أما في سنة 1951 ، فيظهر
للوجود كتابه "الإنسان المتمرّد" "L'Homme révolté" الذي أشار
سيلا من المجادلات والمناظرات ، انتهت بانفصال كامو عن سارتر
بعد أن كانا صديقين حميمين . (2)

أما فيما يتعلق بنشاطه الصحفي ومواقفه لـ "أزمة
الجزائر" ، فبإمكاننا القول أن موقفه السياسي أخذ يتضح
شيئا فشيئا ، فهو بالفعل لا ينوي ، كما ذكرنا ، نقد الاستعمار

(1) Mourad Bourboune , pour en finir avec Camus , p 33 .

(2) بعد صدور كتاب "الإنسان المتمرّد" حدثت جفوة بين كامو وسارتر بسبب النقد
الذي وجهه كامو للشيوعيين. فبالرغم من أن سارتر كان يؤكد اختلافه عن الشيوعيين
في بعض القضايا ، غير أنه كان يقول "باجرامية" توجيه النقد إلى روسيا .
وقد نشرت مجلة "الزمن الحديث" Les temps modernes هجوما على كتاب "الإنسان المتمرّد"
كتبه أحد أصدقاء سارتر وهو Francis Jeanson وقد أيدته في ذلك سارتر فيما بعد .

كمبدل في ذاته ، وإنما همه مناهضة جوانب القسوة فيه
حيال أهالي الجزائر، ذلك انه يستشرف إمكانية تعايش
الجاليتين ، الجزائرية والأوربية، تعايشا من شأنه ان يضمن
لفرنسا دوام السيادة على الجزائر .

فعند انطلاق الامارات الأولى لثورة التحرير، والتي
كانت تؤذن بأن الأزمة قد بلغت أشدها ولم يعد ثمة مجال
للحوار ، ينبري كامو ليقول ، بكثير من التفاؤل ، ان الأمر
لا يستدعي التمويل واليأس (1) ويحث ، في الآن نفسه ،
الجانبيين المتحاربين أن يلتزم ما بمبدل عدم إيذاء المدنيين ،
مهما كانت الظروف .

ويتجلى من هذا أن كامو يزنو أساسا إلى إبقاء الأمور
على حالها ، أي إبقاء الاستعمار في الجزائر بقاء يكفل - كما
يعتقد - للجزائريين أيضا حقوقا على غرار الفرنسيين الموجودين
بالوطن ، ولكن من أين له ذلك ، وقد سبق ان قلنا ان انفجار
الثورة كان تعبيرا عن عدم جدوى الحوار والوعود .

(I) " L'avenir n'est pas tout à fait compromis ... Je propose donc que les deux parties en présence prennent, simultanément , l'engagement public de ne pas toucher , quelles que soient les circonstances, aux populations civiles ..."

O.C , TII , P 98I .

ومع ذلك ، فان كامو، بنظره الشاقب ، يدرك تمام الادراك
لم لجأ الشعب الجزائري إلى العنف الثوري (1) ولكنه آلى
على ألا يعتبر ثورة الجزائر ثورة بالفعل ، بل يخالما تمردا
وعملا إرهابيا لا إنسانيا ، يقوم به شرذمة من الناس يعدمهم
كامو بمثابة قطاع الطرق . بيد أن الايام سرعان ما أكدت له
عكس مايراه تماما .

هذا ، وفي سنة 1956 ، أي بعد سنتين من اندلاع المشادات
الدموية بين الجانبين المتحاربين ، لالحنا كامو بمقال صحفي
لا يعدو أن يكون نداء موجعا إلى الجانبين ، يدعوهما فيه
إلى تجنب المساس بالمدينين سواء اكانوا فرنسيين أم
جزائريين . ولكن هذا النداء كان بمثابة صرخة في واد ، اذ لم
يكن لهذا النداء المدى الذي كان يرتجيه كامو ، ويأتي فشل
هذا النداء من كون كامو لا يأخذ حيثيات الأزمة مأخذ
الجد ، فكأننا به يعتقد أن الأزمة الجزائرية يمكن حلها بالنصائح

(I) " En Algérie ,comme ailleurs , le terrorisme s'explique par l'absence d'espoir .
Il naît de la solitude , de l'idée qu'il n y a pas de recours ni d'avenir ...
Le silence , la misère , l'absence d'avenir et d'espoir , le sentiment aigu
d'une humiliation particulière , tout a contribué à faire peser sur les masses
algériennes une sorte de nuit désespérée d'où fatalement devaient sortir des
combattants ..."

O.C , T.II , p987 .

والعظمت التي تنم عن روح ابوية ساذجة .

ولهذا أيضا ، نجد كامو لا يفتأ يشجب العنف الذي

اتسمت به ثورة الجزائريين وأعمال الفدائيين ، غير عابئ

بالظروف التي أجبرتهم على توخي سبل العنف .

"ان نقد كامو لظاهرة العنف في الثورة الجزائرية نقد لا يؤخذ

بعين الاعتبار الاطار التاريخي لها ، فالعنف ليس عملا معزولا ،

فهو كثيرا ما يكون رد فعل لا وضاع قياسية تتسم هي الأخرى

بسمة العنف . " (1)

لما إذاعنّ لكامو أن يقيم لهذا العنف ما يجب وما يستحق

من اعتبار ، فانه سرعان ما يخلّف ذلك بحجج ضبابية تشبه

في كثير من الاحيان اللباس :

"لاني اعرف ان ثمة أولوية للعنف ، نال العنف الاستعماري

الطويل هو الذي يبرر عنف المتمردين (يقصد الثوار

الجزائريين) (2)

(1) Irène Gendzier , Frantz Fanon , traduit de l'anglais par E. Déliman , Le Seuil , Paris 1974 , p p 171-172 .

(2) " Je sais, il y a une priorité à la violence : la longue violence colonialiste explique celle de la rébellion ..."

O.C , T.II , p 984 .

وعند ما بات لزاما عليه أن يختار إلى أي الجانبين يقف،
أي الجانب الفرنسي أم الجانب الجزائري الثائر، تجده يختفي
وراء هذا التحليل الذي لا يملك إلا أن يصدك بلا معقوليته:
يجب اختيار جانب معين من أحد الجانبين ! ما انذا قد
اخترته ! لقد اخترت وطني ، اخترت جزائر العدالة حيث يلتئم
العرب والفرنسيون بحرية ... (1)

والادعى في هذا كله أن كامو قد أدرك - ومويزشارك في
المقاومة ضد النازية خلال الحرب العالمية الثانية - أن لا مندوحة
من العنف : ان سنوات الاحتلال قد علمتني ذلك ... (2)

ومذا ما حمل أعد الأدياء الجزائريين إلى الاعتقاد بأن كامو
لا يقيم للمقاومة وزنا إلا اذا كان أمرا حكرا على فرنسا - أما
سائر الاطمان الأخرى فلا تدخل في نطاق اهتمامه ، (3)

(1) " Il faut choisir son camp ... Ah! je l'ai choisi , j'ai choisi mon pays,
j'ai choisi l'Algérie de la justice où les Arabes et les Français s'associent
librement ..." O.C , T.II , p 984 .

(2) " Je crois que la violence est inévitable : les années d'occupation me l'ont
appris ...; " Ibid , p950 .

(3) Ghani Merad , La littérature Algérienne d'expression française , p 34 .

ومهما يكن من أمر ، فلمكاننا القول بأن مواقف كامو
لإزاء قضية الجزائر، وإن اتسمت بشيء من النموض، فإن هذا
الخير سرعان ما يأخذ في الانقشاع، ويتم لنا اكتشاف البنية
المنطقية التي تتحكم في مثل هذه المواقف .
وفي هذا المضممار بالذات ، تروى كاتبة كامو (1) أن أحد
كتاب الجزائر ذهب ذات مرة إلى غاليمار "Gallimard" وطلب من
هذا الأخير أن يقدمه إلى كامو - فكان له ذلك - وعند لقائه
بكامو ، طلب هذا الكاتب من كامو أن يحدد له الأسباب التي
جعلته لا يتبنى أهداف جبهة التحرير الوطني ، فاجابة كامو
بأنه "يرفض العنف والجريمة" . إذ ذاك اعترض عليه الكاتب
الجزائري بقوله "لكم قبلتم ذلك أثناء المقاومة الفرنسية
للنازية ! " اغتاظ كامو لذلك وطلب من زائره الانصراف ،
وبعد خروج الضيف كان الشحوب باديا على وجه كامو الذي
اعترف لكاتبته في تلك اللحظة بما يلي "حجيج ، لم تعترضني
الدهشة وأنا أقام النازيين ، لأنني كنت فرنسيا وإن وطني كان محتلا .

(1) " Il est vrai que je n'ai pas été choqué par la résistance aux nazis , parce que j'étais français et que mon pays était occupé . Je devrais accepter la résistance algérienne aussi , mais je suis français ..."

Cité par Suzanne Agnely in Camus de H . Lottman , p 633 .

كان من واجبي أن اقبل أيضا المقاومة الجزائرية ، ولكنني فرنسي .
ومثل هذا الكلام يذكرنا بقوله المشهور : "إذا كان لي
ان اختار بين العدالة وأمي ، فاني سأختار أُمي ."
ومن كلا القولين يبدو جليا أن كامو يفكر بمنطق "الاقدام
السوداء" "Pieds-Noirs" ، الذين لا يقوون على تمرد الجزائر الا فرنسية .
فكامو لذن لم يدفع بجراته التي تمجدنا فيها السوي
مداها الاقصى في مواقفه السياسية التي وقفا قبل اندلاع ثورة
التحرير - في حين اننا نجد واحدا مثل جول روى "Jules Roy" وهو
من مواليد الجزائر ايضا ، يقول بصريح القول مخاطبا اولي
الأمر انذاك بالجزائر: "لو كنت مسلما ، لكنت في الجبال بجوار
الثوار لا بجانبكم ..."(I)

مما سبق نفهم ان كامو يتخذ من العنف موقف الـمُراقض
له ، ولكن رفضه له لا ينبني على ارضية منطقية خليقة بأن
تقنعنا ، فأزمة الجزائر بالنسبة له إنما هي صراع بين اخوة يعيشون

(I) Jules Roy , La tragédie algérienne , p 200 .

في أرض واحدة وتحت سماء واحدة ، فالأزمة بالنسبة اليه ليست قائمة بين مستعمر و مستعمر ، وهو الامر الذي أدى به إلى أن يسوق هذا التحليل الذي يصعب تصوره وتبنيه :

"ان الجزائر ، اليوم قلح يسكنه شعبان : واحد منهما مسلم والأخر غير مسلم ... ان الحجج التي يسوقها المثقفون لتبرير عنف المسلمين ضد المدنيين الابرياء تفترض التسليم والايمان في تاريخ ، اي تاريخ عادل . ان القمع الفرنسي ليس له من مبرر ... يجب ان نقول نفس الشيء بالنسبة للوسائل التي تستعملها جبهة التحرير الوطني التي ترى في كل فرنسي مثالا للاستعمار ... ستقولون لي : لكن ما العمل اذا ما دقت ساعة العنف ؟ لا يجب تغيير المبادئ مما حدث ، (1)

ثمة ملاحظة يجب الاشارة اليها وهي ان الثورة الجزائرية في نظر كامو لا تمدر ان تكون عملا ارمابيا يقدم عليه أناس ضد "المدنيين الفرنسيين الابرياء".
و وعلى ضوء هذه النظرة بالذات ، يمكن القول بأن همهم أو هموم كامو كلها انما تقتصر على عدم ايذاء الجالية الأوروبية

(I) Cité par Jules Roy , La Tragédie algérienne , 205 .

فحسب ، وما تفضيله لأنه على العدالة إلا دلالة على مدى خوفه على هذه الجالية التي ينتمي إليها .
وهذا السلوك إذن إنما هو سلوك "فرنسي من الجزائر ينصاغ للفرقة أكثر من أمثاله للتفكير ... " (1) ورفض كامو للعنف الجزائري وخوفه على الجالية الأوروبية يصدر عن منطق "بقا" فرنسا في الجزائر" هناك ما يقوله كامو في هذا الشأن : "أن الشيء الذي لا يفهمه العرب هو أنني أحب الجزائر ، كما يجب الفرنسي العرب ويريد أن يعيش بينهم في الجزائر دون أن يحتريه الشهور بأنه غريب بينهم " (2)

ورغم ما تنطق به هذه المواقف من رغبة في إبقاء السيادة الفرنسية مهيمنة على الجزائر ، فلقد بدا للكثير ، أن مواقف كامو يغشاها الغموض ، بل أكثر من ذلك ، عدت مواقفه تلك نوعا من الصمت ، الأمر الذي أدى بسارتر إلى أن يقول آنذاك :

(1) Ahmed Taleb Ibrahimi , Lettre ouverte à Albert Camus , p 52 .

(2) " Ce que trop d'Arabes ne comprennent pas , c'est que je l'aime l'Algérie comme un Français qui aime les Arabes et veut , qu'il soit chez eux , sans pour cela s'y sentir étranger . " H . Lottman , Camus , p 648 .

"انه من المهم لنا ان يخرج كامو من صمته ، وان يصل الى قطار ونتيجة ، فنحن الحائرون بلا دليل ، نؤمن ضرورة بأن على أحسن رجالنا ان يصلوا الى نهاية النفق" (1) ويمتدح جورج جوايو ، في هذا الصدد بقوله: "طبعاً أن صمت كامو لا يتناسب ابداً مع عمق شفقتة على الانسان ولا مع حبه اللا محدود للا رغب التي ولد فيها" (2)

وهذا صحيح لاكثر من اعتبار، فليس من المنطق في شيء أن نغذي مبادئ انسانية ما ، ونغض الطرف عندما في مواقف ما ونتذرع بما في مواقف أخرى ، فلما ان تكون هذه المبادئ مطلوبة واما الا تكون ، فنرمى بها عرض الحائط .

وبمرور الزمن ، تأخذ مواقف كامو في الوضوح وسرعان ما تتأكد نوايا كامو الدفينة والتي سبق لنا أن وقفنا عندها ، لم يعد ثمة مجال لتبني الحياد ، اذا نحن سلمنا جدلاً بأن في مواقف كامو ما يشبه الحياد ، ففي آوج الثورة الجزائرية ، طلب وفد من الطلاب الجزائريين من كامو ان يتخذ موقفا صريحاً ازاء القضية الجزائرية ، فرد عليهم بقوله :

(1) جورج ، جوايو ، كامو والثورة الجزائرية ، مجلة الثقافة ، ص 52 .

(2) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

"احذروا ، ستأتي الساعة التي لن يقوى فيها أحد على البقاء
على المامش، في الوسط او خارج المعترك . اذا كتب الاستمرار
للعنف ، فان واجب انسان مثلي سيكمن في السرجوع إلى جاليتي ،
لانه سيكون من الصعب التزام الحياد .." (1)

ومن نافلة القول ان كاموتبعاً لذلك يرفض استقلال الجزائر
أيما رفض، فعويقول جمرًا :

"انني اعتقد - بالعكس- انه لا يجب علي ان أساهم ، ولو
لمدة ثانية واحدة ومهما كان الاسلوب، في بناء الجزائر الأخرى"
" Jé considère , au contraire que je ne dois pas aider une seule seconde
et de quelque façon que ce soit à la construction de l'autre Algérie ".
(2) (O.C , T II , p 990)

ومع ذلك ، يعتقد البعض أن كامو رغم ذلك ، كله "كان
يؤمن بأن استقلال الجزائر أمر منطقي ، غير أنه يعتقد أن بلوغ
هذا الهدف لا يمكن ان يتم الا بعد مراحل تمتد على بعض
عشرات السنين " (3)

(I) " Méfiez-vous , l'heure va venir où personne ne pourra demeurer en
marge , au milieu ou au dessus. Si la violence continue , le devoir
pour un homme comme moi , consistera à retourner à sa communauté
parce qu'il sera impossible de rester neutre ... " (Cité par Jules

(2) Roy , La tragédie algérienne , p 204) .

(3) Mohamed Lebjaoui , Vérités sur la révolution algérienne , p 46 .

ولكن هذا ليس صحيحا ، ان موقف كامو من فكرة استقلال الجزائر موقف الرفض - وقد سقنا في هذا الامر ما قاله هو نفسه - أما الحجج التي يتذرع بها اثناء رفضه لهذه الفكرة ، فهي حجج واهية لا تستند إلى منطق سليم .

- فمؤاولا يرى في ثورة الجزائر عملا لهامابيا فقط
ثانيا يعتقد أن أعضاء جبهة التحرير الوطني هم بمثابة عصاة من قطاع الطرق (1) - ثالثا ، ان استقلال الجزائر لا تعني بالنسبة إليه الا جلاء 1200 000 من الأوروبيين القائلين واهانة ملايين من الفرنسيين - كما يعتقد كامو أن استقلال الجزائر سياسيا - سيجعل الجزائريين في وضعية اكثر فقرا . ومعنى هذا ايضا أن كامو يرى ان الجزائريين عاجزون عن تحقيق الاستقلال الاقتصادي - (2)

ومن هذا التحليل ، يمكننا أن نخلص إلى النتائج

التالية :

(1) " ... Le romantisme aussi propre à des insurgés très jeunes et sans culture politique ..." O.C , T II , p 1012 .

(2) " Il faut ajouter qu'une Algérie purement arabe ne pourrait accéder à l'indépendance économique sans laquelle l'indépendance politique n'est qu'un leurre ..." Ibid , p 1013 .

- إن كامو وقف من قضايا الجزائر ، قبل اندلاع ثورة التحرير، موقفا إنسانيا حيث أنه انتقد بشدة الطغيان الذي سلطته فرنسا على الجزائريين . ولكن نقده ذلك لم يكن نقدا شموليا ، فاقصر على نقد الظاهر من الأمور دون نقد أصلا .

- إن نقد كامو للعنف الثوري عند الجزائريين لم يراع الظرف التاريخي الذي يستوجب اللجوء إلى هذا العنف ، فكان نقده للعنف نقدا مطلقا لا يقبل النقاش .

- وتبعاً لذلك ، وقف كامو من استقلال الجزائر موقفا معاديا دون أن ينبني موقفه هذا على أرضية منطقيّة دامغة .
- وهذا الأمر هو الذي يقودنا في الختام إلى الاعتقاد بأن كامو كان ينظر إلى "أزمة الجزائر" بحقلية "الاقدام السوداء" (1) الذين يعز عليهم الاعتراف بأن الجزائريين - أما إذا أردنا أن نصف كامو (كذا) "أزاء" قضية الجزائر ، فلنقل بأن "عقلية الاقدام السوداء" قد قضت على التقدمي فيه" (2) .

(1) I. Yétiv , Le thème de l'aliénation dans le roman maghrébin d'expression française , p 61 .

(2) J.F Revel , Le silence de Camus , in l'Express du 27 Oct/2Nov 1979, p165 .

قائمة المصادر الكاموية

لقد عمدنا في بحثنا هذا إلى مؤلفات كامو التي جمعت في مجلدين اثنين ، اشتمل المجلد الأول على الروايات والمسرحيات ، في حين ان المجلد الثاني احتوى على مقالاته الأدبية والفكرية بوجه عام ، وفيما يلي محتوى كل مجلد من المجلدين المذكورين :

Tome I : Théâtre , Récits , Nouvelles

- préface de Jean Grenier
- Introduction critique , biographie , par Roger Quilliot

THEATRE :

- Caligula
- Le malentendu
- L'Etat de siège
- Les justes
- Révolte dans les Asturies

ADAPTATIONS :

- Les esprits de pierre de Larivey
- La dévotion à la croix de Caldéron
- Un cas intéressant de Dino Buzzati
- Le chevalier d'Olmédo de Lopé de Véga
- Requiem pour une nonne de W. Faulkner
- Les possédés de Dostoievski

RECITS ET NOUVELLES :

- L'Etranger
- La peste
- La chute
- L'Exil et le Royaume

TEXTES COMPLEMENTAIRES D'ALBERT CAMUS

- Commentaires , notes et variantes par R. Quilliot

=====

Editions Gallimard — Paris 1962 .

TOME II : LES ESSAIS

- L' envers et l' endroit
- N o c e s
- Le Mythe de Sisyphe
- Actuelles I
- L 'Homme révolté
- Actuelles II
- L' Eté
- Chroniques Algériennes
- Réflexions sur la guillotine
- Discours de Suède
- Textes complémentaires

- =====
- Introduction critique par Roger Quilliot
 - Commentaires , notes et variantes par R. Quilliot et Louis Faucon
- =====

Editions Gallimard - Paris 1965 .

قائمة المراجع العربية

- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد 3 ، دار صادر ، بيروت ، 1955 .
- أحمد رضا ، معجم متن اللغة ، المجلد 5 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1966 .
- بدوي عبد الرحمن ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1960 .
- " " " " ، الزمان الوجودي ، الطبعة 2 ، مكتبة النهضة المصرية 1955 .
- جبور عبد النور وسهيل ادريس ، المنهل ، قاموس فرنسي عربي ، دار الاداب ، بيروت ، 1970 .
- جورج ج . جوايو ، كامو والثورة الجزائرية ، ترجمة د . أبو القاسم سعد الله ، مجلة الثقافة (الجزائر) ، عدد 5 ، نوفمبر 1971 .
- زكريا فؤاد ، آراء نقدية في الثقافة والفكر ، الدار الحربية للطباعة والنشر 72 .
- سعد علي ، حول الكاموية ، مجلة الآداب ، عدد 12 ، ديسمبر 1955 .
- سعدى عثمان ، من الأدب الجزائري ، مجلة الآداب ، عدد 11 نوفمبر 1955 .
- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي ، جزء 1 و 2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1979 .
- طالبى عمار ، في مفهوم الثورة ، محاضرة مخطوطة .
- طه حسين ، الأعمال الكاملة ، الجزء السادس ، دار الكتاب اللبناني ، 1975 .
- مكاوى عبد الغفار ، البيركامي ، دار المعارف مصر ، 1964 .
- " " " " ، مدرسة الحكمة ، دار الكتاب العربي للطباعة ، مصر بدون تاريخ .
- ميمون الربيع ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 .
- ووديس جاك ، نظريات حديثة حول الثورة ، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، ج 1 ، دار الفرابي ، بيروت 1978 .

=====

قائمة المراجع الفرنسية

- Birou (Alain), Vocabulaire Pratique des Sciences Sociales, Les Editions
Ouvrières, Paris , 1966.
- Blin (Georges), L'Absurde , in revue Fontaine , n° 30, Paris , 1943 .
- Bloch (O .), Dictionnaire étymologique de la langue française, Presses
Universitaires de France , Paris , 1968 .
- Bourboune (Mourad), Pour en finir avec Camus , in Demain l'Afrique ,
N° 9 Mai 1978
- Brochier (Jean Jacques), Camus , Balland , Paris , 1970 .
- Conor (Cruise O'brien), Camus, traduit par Sylvie Dreyfus, Seghers,
Paris, 1970.
- Dib (Mohammed) , Interview aux Nouvelles Littéraires, n°203, Octobre 53.
- Dupré , Encyclopédie du bon français dans l'usage contemporain,
Tome 3, Editions de Trévise , Paris , 1972.
- Dupuis (Aimé) , L'Algérie dans les Lettres Françaises , Les Editions
Universitaires de Paris , 1956.
- Foulquié (Paul), Dictionnaire de la langue philosophique, Presses
universitaires de France , Paris , 1972 .
- Gaillard (Pol), Camus, Bordas , Paris , 1970 .

- Gendzier (Irène) , Frantz Fanon , traduit par E. Déliman , Le Seuil , 1973.
- Ginestier (Paul) , Camus (pour connaître la pensée de) , Bordas, Paris, 1970
- Gros (Bernard) , Camus , Hatier , Paris , 1978 .
- Ibrahimi (Ahmed Taleb) , Lettres de prison , S.N.E.D , Alger , 1970 .
- " " " " " , De la décolonisation à la révolution culturelle ,
S.N.E.D , ALGER , 1972 .
- Lacheraf (Mustapha) , L'avenir de la culture algérienne , in Les Temps
Modernes , N° 203 , octobre 1963 .
- Lebesque (Morvan) , Camus , par lui-même, Le Seuil , Paris , 1968 .
- Lebjaoui (Mohammed) , Vérités sur la révolution algérienne , Gallimard ,
Paris , 1970 .
- Lottman (Herbert) , Camus , traduit par Mariane Véron , Le Seuil , 1978.
- Luppé (Robert de) , Camus , Editions Universitaires , Paris , 1955 .
- Majault (Jean) , Camus, révolte et liberté , Ceinturion , Paris, 1965 .
- Marcel (Gabriel) , L'Homme révolté d'A. Camus , in La Table Ronde ,
Février 1960 .
- Maurois (André) , De Proust à Camus , Librairie Académique Perrin ,
Paris , 1965 .
- Mérad (Ghani) La littérature algérienne d'expression française ,
Jean Pierre Oswald , Paris , 1970 .

- Mounier (Emanuelle) , Introduction aux Existentialismes , Gallimard ,1971.
- Nguyen (Van Huy) , La Métaphysique du bonheur chez A.Camus , Editions la
Baconnière , Paris, 1968 .
- paraf (Pierre) , Les Grandes contestations de l'histoire , petite biblio-
thèque payot , Paris ,1973 .
- pingaud (Bernard) ,L'Etranger de A . Camus , Hachette , 1971 .
- Quilliot (Roger) , La Mer et les prisons , Essai sur A.Camus , Gallimard,
Paris , 1971 .
- Revel (Jean François) , Le silence de Camus ,in l'Express,27 octobre 1979.
- Robert , Dictionnaire des noms propres , Tome 2 ? Paris 1977 .
- Roy (Jules) , La tragédie algérienne , in Camus , Gallimard , Paris, 1970 .
- Sartre (Jean Paul) , La nausée , Gallimard , Paris , 1938 .
" " " " L'Être et le Néant , Gallimard , Paris , 1943 .
- Werner (Eric) , De la violence au totalitarisme , Caman Lévy, Paris, 1972.
- Yétiv (Isaac) , Le thème de l'aliénation dans le roman maghrébin d'expres-
sion française , Sherbrooke , Québec , 1972 .

فهرس الاعلام العربية

- احمد طالب الابراهيمى ، ص 82 ، 88 ، 93 ، 96 .
- احمد رضا ، ص 17 .
- مصطفى الاشرف ، ص 84 .
- عبد الرحمن بدوي ، ص 21 ، 31 .
- مراد بورسون ، ص 92 ، 97 .
- طه حسين ، ص 27 ، 40 .
- محمد ديب ، ص 86 .
- علي سعد ، ص 85 .
- عثمان سعدي ، ص 85 .
- فؤاد زكريا ، ص 70 .
- جميل صليبا ، ص 19 ، 20 ، 59 .
- عمار طالبي ، ص 20 .
- غانم مراد ، ص 83 ، 101 .
- لبيحاي محمد ، ص 106 .
- ابن منظور ، 15 ، 18 .
- عبد القفار كاوي ، ص 33 .
- الربيع ميمون ، ص 40 .

=====

- Agnely (Suzanne) p 102 .
- Apollinaire (Guillaume) p 54 .
- Birou (Alain) p 19 .
- Breton (André) p 54 .
- Blin (Georges) p 46 ;
- Bloch (O) p 16 , 19 .
- Brochier (J.Jacques) p 75 .
- Chestov (Léon) p 44, 45 .
- Conor (Cruise) p 81 , 82 .
- Dostoievski (F) p 52 .
- Dupré (A) p 16 , 19, 21 .
- Duuy (Aimé) , 79 .
- Foulquié (Paul) , p 17 .
- Gaillard (pol) p 69 .
- Gallimard , p 102 .
- Gendzier (Irène) , p 100 .
- Grenier (Jean) , p 46 .
- Ginestier (Paul) , p 28 , 65 .
- Gros (Bernard) , p 53 , 58 .
- Homère , p 30 .
- Joyeux (Georges) , p 27, 87, 106 .
- Kierkegaard (S) , p 44, 45 .
- Luppé (Robert de) , p 41 .
- Lottman (H) , p 102 , 105 .
- Majault (Joseph) , p 30 .
- Marcel (Gabriel) , p 74, 75 .
- Mounier (Emanuel) , p 37 .
- Nguyen (Van Huy) , p 62 .
- Nietzsche (F) , p 53 .
- Nora (pierre) , p 82 .
- Paraf (pierre) , p 53 .
- Pindare , p 42, 60 .
- Pingaud (Bernard) , p 82 .
- Revel (Jean François) , p 109 .
- Roy (Jules) , p 93 , 103, 104 .
- Sade , p 51, 52 .
- Sartre , p 25, 27, 34, 35, 76 .
- Simon (P.H) , p 22, 32, 64, 68, 69, 74 .
- Stirner (Max) , p 53, 71 .
- Werner (Eric) , p 66 .
- Yétiv (Isaac) , p 109 .

فهرس لأهم المفاهيم الواردة في البحث

-Absurde (Irrationnel)	- اللامعقول (العبث)
-Angoisse	- القلق
-Éternité	- الخلود
-Ethique de la quantité	- اخلاقية الكم
-Existentialisme	- الوجودية
-Historisme	- النزعة التاريخية
-Humanisme	- النزعة الانسانية
-Marxisme	- الماركسية
-Métaphysique	- الميتافيزيقا
-Nihilisme	- العدمية
-Non-sens	- اللامعنى
-praxis	- البراكسيس
-Révolte	- التمرد
-Révolution	- الثورة
-Saut existentiel	- القفزة الوجودية
-Suicide philosophique	- الانتحار الفلسفي
-Surréalisme	- السريالية (فوق، الواقعية)

فهرس الموضوعات

- الامداء ص 3
- مقدمة البحث ص 4

الفصل الأول

- حياة كامو في سطور ص 15
- التمرد من الوجهة اللغوية ص 17
- التمرد من الوجهة الفلسفية ص 18
- بين التمرد والثورة ص 18
- الثورة في الاستعمال اللغوي ص 19
- الثورة اصطلاحاً ص 21
- نتائج المقارنة ص 23

الفصل الثاني

- مشأ التمرد : اللا معقول ص 27
- سبل الخروج من دائرة اللا معقول ص 40
- الالتحار الجسدي ص 40
- الالتحار الفلسفي ص 42

الفصل الثالث

- بديل الالتحار : التمرد ص 48
- التمرد الميتافيزيقي ص 50

- 55 ص - التمرد الميتافيزيقي على المستوى الفردي
- 62 ص - التمرد " " " " الجماعي
- 65 ص - التمرد وعلاقة بفكرة الجريمة
- 72 ص - العدول عن الثورة باسم الاعتدال وفلسفة الحدود
- 74 ص - خلاصة ونقد
- الفصل الرابع
- 78 ص - الثورة الجزائرية في منظور فلسفة كامو
- 80 ص - الجزائر في أعمال كامو الادبية
- 89 ص - كامو ومواقفه السياسية ازاء ثورة الجزائر التحريرية
- 91 ص - قبل اندلاع ثورة الجزائر التحريرية
- 95 ص - مواقف كامو ابان الثورة التحريرية
- 110 ص - قائمة المصادر الكاموية
- 112 ص - قائمة المراجع العربية
- 113 ص - قائمة المراجع الفرنسية
- 116 ص - فهرس الاعلام العربية
- 117 ص - فهرس الاعلام الاجنبية
- 119 ص - فهرس لأهم المفاهيم الواردة في البحث
- 120 ص - فهرس الموضوعات

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر